آمديو تشنشيني

لا تهمّ كثرة العدد

من أجل بناء ثقافة الدعوة

نقله إلى العربية

الأب ألبير هشام نعّوم

بغداد ٢٠١٧

صدر هذا الكتاب باللغة الإيطالية تحت عنوان:

Amedeo Cencini

Non contano i numeri

Costruire cultura vocazionale

© Paoline Editoriale Libri, Figlie di San Paolo, 2011.

مقدمة الترجمة العربية

بفرحٍ كبير أقدّم الترجمة العربية لهذا الكتّيب، وهو موجّه بصورةٍ خاصّة للكهنة والمكرّسين والمكرّسات وكل الذين يعملون في تربية وتنشيط الدعوات، بالإضافة إلى الشباب أنفسهم الذين يشعرون بنداء الدعوة.

وأنا أتوجّه إليكم، أشعر أنّي أتحدث مع أشخاص أعرفهم وأقمتُ علاقة صداقة معهم لم تبدو ممكنة قبل عقدٍ من الزمن. إلا أنّ إرادة وقناعة الأب ألبير هشام جعلت الكثير من المربين والشباب العراقيين يحصلون على كتبي حول موضوع الدعوات. وإن كانت من محيط اجتماعي وثقافي مختلف، مع ذلك عندما نتكلم عن جواب الدعوة، فإن الاختلافات بين البشر لن تكون مهمة كثيرًا. وبالأحرى تتحد خبرة الخوف والرفض ومحاولات الهروب... مع خبرة السلام والسعادة لمن له الشجاعة في استقبال الدعوة.

إن الإنسان مهما كان أصله وجنسيته ودينه وحقيقته الاجتماعية... وفي أي زمن وعلى أي بقعة من الأرض، هو كائن مدعو بالضرورة لحياة الحبّ مع الله ولتحقيق ذاته بحسب مشروع الآب الخالق. ويعلم أنه سيصبح سعيدًا فقط إذا حقق ذاته بحسب هذا المشروع.

ينطلق هذا الكتيب "لا تهمّ كثرة العدد" من هذه الفكرة ويذهب إلى هذا الهدف: خلق ثقافة دعوة لكي تصبح فكرة الدعوة قناعة عامة لدى جميع المؤمنين بالمسيح، فيشعرون أنهم مدعوون وأن سعادتهم تنبع من دعوتهم. ليست المشكلة في أن نصبح كلنا كهنة ومكرسين بل أن يُخلق في الكنيسة حسّ الدعوة الذي يحثّ الجميع ولا يستثني أحدًا ويجعلنا نبحث عن موقعنا في الحياة، ولن يعمل هذا الموقع لخلاصنا أولاً بل لخلاص الآخرين، لأن هذا هو المسيحي: **إنسان مخلَّص بصليب يسوع ليساهم في خلاص الآخرين.** يدعونا الآب لنساهم بصورة فعّالة ومسؤولة في خلاص الإنسانية جمعاء. وهذا سرّ كبير!

يفترض الإيمان المسيحي تغييرًا، ونعتقد أحيانًا أن الدعوة تُعرض على المؤمن في ختام مسيرته الإيمانية، وكأنها جائزة للمؤمن الشجاع فقط. بكلماتٍ أخرى يأتي أولاً فعلُ الإيمان ثمّ، كعلامة نضوج في الإيمان، يأتي اختيار الدعوة. ليست فكرة خاطئة، ولكن ألا يمكن أن يكون العكس؟ أي يمكن أن نعرض ملء الإيمان المسيحي على الجميع وليس للبعض، لأنه في النهاية دعوة تأتي من الله لتحمّل مسؤولية خلاص الآخر. وهذا هو معنى الإيمان المسيحي: ألاّ نقلق على أنفسنا وعلى خلاصنا، لأنها أنانية، بل أن نمتلك مشاعر المسيح ذاتها الذي أعطى حياته لخلاص العالم. فيصبح المرء مؤمنًا ويفهم

الإيمان بهذه الصورة، سواء كان كاهنًا أو علمانيًا، بتولاً أو متزوجًا، شابًا أو مسنًّا، عاملاً في الرسالة أو في العمل اليومي، ويقدّم حياته ليؤمن العالم ويخلص.

فلنوقف البكاء على تناقص عدد الدعوات الكهنوتية والرهبانية، ولنحاول أن نفهم هذه الأزمة كتدبير إلهي إذا خلقت إدراكًا للدعوة في الكنيسة وفي كل العالم، حتّى في العراق!

وهذا الإدراك الذي يحاول البابا فرنسيس خلقه بمختلف الطرق في الجماعة الكنسية، ولهذا افتتح سينودسًا أراده مرتكزًا على موضوع الدعوة، وموجّهًا للشباب لكي يشعروا بدعوتهم، وللمربين لكي يرافقوا الشباب في اكتشاف دعوتهم، وللبالغين المؤمنين لكي يصيروا وسيطًا لله الذي يدعو، وللمتزوجين لكي يعيشوا قرار زواجهم كدعوة حقيقية، ولكل الكنيسة لتكون جماعة مدعوين يدعون هم بدورهم آخرين! وهذه أمنيتي لأخوتي وأخوتي الأحبّاء بالمسيح في كنيسة العراق.

الأب آمديو تشنشيني

٢٠١٧/٨/٩

تقديم

الكتب أفضلُ صديقٍ للسفر في الحياة: تتكلم عندما تحتاج لذلك، وتصمت عندما تحتاج إلى الصمت. ترافقك دون تطفّل وتعطيك الكثير دون أن تطلب شيئًا.

إن لتعريف تيزيانو تيرزاني• علاقة بكتيّب الأب آمديو تشنشيني الذي يستقي ويطوّر بعض الأفكار الغالية على قلبه على شكل سلسلة جديدة من مداخلات حفّزت على التأمل في الدعوة خلال المؤتمر الثاني للدعوات في أمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي، الذي عُقِد من ١ إلى ٥ شباط بساحل العاج.

هناك من تعوّد مثلي على سلسلةٍ طويلة من الدراسات وسنواتٍ من الصداقة مع الأب آمديو، ويجد معه قاسمًا مشتركًا مهمًا من خلال عمله الحكيم في رعويات الدعوة الذي قام به من خلال لقاءات ومؤتمرات وكتب، وفتح أفقًا جديدة للاهوت وروحانية وتربية الدعوة.

مع ذلك، يبقى مهمًا تقديم جمال أعماله على ضوء حدثٍ مهم لكنيسة إيطاليا، وهو إصدار التوجيهات الرعوية للعقد القادم: التربية على حياة الإنجيل الصالحة.

• صحفي وكاتب إيطالي (١٩٣٨–٢٠٠٤) (المترجم).

إن قراءة تأملات الأب تشنشيني تجعلنا ندرك "الدعوة المسيحية" في واقع كل خدمة والتزام تربوي وكنسي ورعوي.

أعتقد أن التوجيهات الرعوية التي سلّمها الأساقفة مؤخرًا إلى الكنيسة الإيطالية، تبني إنطلاقة ممتازة وفرصة أسطورية وقوية لنُطلق مركبة الدعوة في الفضاء مع كل مشاريعها وتوقعاتها ومثالياتها، لتتحد جميعًا مع خبراتٍ واقعية مبدعة لمختلف الجماعات المسيحية.

إنّ تقبّل هبة الروح القدس يدفعنا إلى عيش الحياة كدعوة. من السهل على الإنسان في زمننا أن يعتبر نفسه الصانع الوحيد لقدره فيعيش بالتالي "دون دعوة" (...) على عملنا التربوي "أن يقنع الجميع بـــ"المقياس الأعلى" للحياة المسيحية الاعتيادية: لابدّ لكل حياة كنسية ولحياة العوائل المسيحية أن تسير في هذا الاتجاه[1].

ومع أنّ الإنسان بدون دعوة في عصرنا، على الجميع في الوقت ذاته الاقتناع بمستوى أعلى من الحياة المسيحية الاعتيادية، وهذا هو أفق التحدي الذي ينتظرنا ومرجع كل مشروع دعوة.

---

[1] Conferenza Episcopale Italiana, *Educare alla vita buona del Vangelo*, Roma 2010, n.23.

من خلال وثيقة "دعوات جديدة لأوربا جديدة"[2]، علينا أن نكرر دومًا، كما يؤكد الأب تشنشيني بقوّة وببصيرة حادّة في هذا الكتيب، بأن الهدف النهائي من إعلان إنجيل الدعوة هو تأسيس ثقافة جديدة تصبح أرضًا طيبة يخرج إليها الزارع ليزرع، دون أن يمرّ بأرضٍ جافّة ولا صخرية ولا أشواك تسحق البذور وتميتها، بل بأرضٍ طيبة تستقبل وتقيّم وتحبّ أي دعوة. في هذا السياق لابدّ من إدراج بعض الخطوات المهمة لهذه التوجيهات الرعوية.

- **لنعد إلى المدرسة:** يستخدم اكليمنضس الاسكندري في القرن الثاني هذه الكلمات الرائعة التي تحثّ مسيحيي زمنه: "يا طلاب التربية المقدسة! الإنسان مواطن السماء ويُربّى على الأرض، ويلتقي هناك بالآب الذي يتعلّم عنه ويعرفه على الأرض" (عدد ١).

- **إنه زمن التمييز:** إنّ "العالم الذي يتغيّر" أكثر من مجرّد مسرح تتحرك فيه الجماعة المسيحية مع احتياجاتها التي تحثّ إيمان ومسؤولية المؤمنين. إنه الربّ الذي يدعونا أن نقيّم الزمن، ويطلب منّا أن نفسّر ما

---

[2] Pontificia Opera per le Vocazioni Ecclesiastiche, *Nuove vocazioni per una nuova Europa (in verbo tuo)*, Roma 1997.

يحدث بعمق في عالم اليوم لنجيب عن اسئلة ورغبات الإنسان (العدد ٧).

- **لسنا خاضعين للعدمية والقدرية:** في كتاب مهم بعنوان "الضيف المقلق"، يصف الفيلسوف اومبيرتو كالمبيرتي مشكلة حاسمة للثقافة التي نعيش فيها وبصورة خاصّة تأثيرها في إدراك حقيقة الشباب[٣].

إن الحجّ إلى الذات هو الطريق الإيجابي الوحيد الذي يعيد لنا مفتاح القراءة الأخلاقية والإيجابية للعالم والحياة، حيث "الانتظار والرجاء" رسالتان لا زال لهما معنىً جوهريًا.

غالبًا ما تلتقي قوة الإبداع مع ضعف وهشاشة البشر، حيث تنتقد إرادةُ القوة والعنف الاستسلامَ وضعفَ قرار الإنسان المعاصر. فالإنسان بكليته قادر على فرض ذاته على كل شيء وعلى الجميع، ويقضي على الإنسان غير المميز كما يصفه لنا الأديب المعاصر روبرت موزيل[٤].

كم هو مخيفٌ ليلُ الحياة، لا يمزقه وهجُ مصباح! من الضروري أن يكون معنا خزين من الزيت لتبقى مصابيحنا مضيئة. من الضروري أن نملك في داخلنا الكثير من الحبّ لندفيء ليالينا الباردة.

---

[3] U. Galimberti, *L'ospite inquietante*. Il nichilismo e i giovani, Feltrinelli, Milano 2007.
[4] R. Musil, *L'uomo senza qualità*, Einaudi, Torino 2005.

وهذه إجابة فرنسوا مورياك• التي يعطيها للإنسان البارد والمجمد حتى الموت "برنارد توماس" فأصبحت إجابته مثالاً فعّالاً للعدمية.

يمثّل ما يقدّمه الأب تشنشيني في كتيّبه تحديًا تربويًا. فالحياة تربّي وتولد، تستنتج وتخرج الحقيقة العميقة التي يملكها كل شخص في قلبه، وحتّى ما لا يعرفه عن نفسه من ضعف وطموح، لتفسح المجال للحرية أن تجيب على الدعوة.

هناك كلمتان أساسيتان نستطيع أن نلخّص بهما بصورةٍ قاطعة معنى التأمل أدناه: الحكمة وروح النبوّة.

- الحكمة هي قابلية النظر إلى أنفسنا، وتصفية الأحداث لنختار منها ما يساعدنا أن نكون على مستوى الأزمنة والأشخاص. فالشباب مقيدون في فرص القرار.

- النبوّة، من أجل أن نستبق التربية باختيارات مهمّة وحاسمة. وفي موضوعنا عن الروحانية والدعوات، لا نسعى إلى من "يطارد" الأحداث بل مَن ينجح في مواكبتها.

يستخدم الفيلسوف والكاتب الأمريكي هنري ديفيد ثورو (١٨١٧–١٨٦٢) في سيرته الذاتية (Walden)

• كاتب فرنسي (المترجم).

عبارةً مهمّة للغاية ليستطيع أن يقنع المقابل بقلبٍ مفتوح وحرّ: "الأشياء لا تتغير، بل نحن نتغير". فنحن لا نملك السلطة على الآخرين، ولا نستطيع الادّعاء أنهم يتغيّرون، بل لدينا بعض السلطة على أنفسنا وعلى مسيرة نموّنا الشخصية.

أمنيتي لكلّ قارئ وقارئة أن يشعر بأنه جزء من عملية التغيير الشخصية ليعلن بصورةٍ شفافة وشجاعة إنجيل الدعوة.

ستكون ثورة دعوة، تلك الثورة التي يتكلم عنها الأب آمديو في هذا الكتيّب، والتي نحتاج إليها كثيرًا في الكنيسة.

نيكو دال مولين

مدير المركز الوطني للدعوات

مقدمة

في وثيقة المؤتمر الأوربي للدعوات الذي أقيم في روما في شهر أيار عام ١٩٩٧، تمّ الحديث عن "قفزة نوعية" كان على رعوية الدعوات القيام بها حتّى اليوم. وكانت الخطوة الأولى: "إذا ولدت رعوية الدعوات في الماضي من حالة طارئة ناتجة عن أزمة وحاجة ملحّة للدعوات، فلا يمكن اليوم التفكير بنفس حالة انعدام الثقة الناتجة من ظروف سلبية، بل بالعكس؛ علينا أن نفهم الأزمة كتعبيرٍ على أمومة الكنيسة المفتوحة على بُعد الله الذي لا حدّ له وفيه تولد الحياة دائمًا"[٥].

تقصد الوثيقة، وكانت تقصد، أنه بالرغم من ولادة رعوية الدعوات في أوضاع حرجة بتأثير التناقص المتنامي لعدد المرشحين للكهنوت والحياة المكرسة، لا يمكن اعتبارها من بعد وليدة حالة طوارئ مفاجئة، بل تعبيرًا عن هوية الكنيسة العميقة وطريقة وجودها الطبيعية كجماعة مدعوين. وكما سنقول فيما بعد، الأزمة أو حالة الطوارئ مشكلةٌ لابدّ من وضع علاجٍ لها من خلال دراسة حالاتها الاستثنائية. ولكنها ليست مشكلة الاكليريكيات نصف الفارغة والخورنات التي تفتقر لكاهن

---

[5] Pontificia Opera delle Vocazioni Ecclesiastiche, *Nuove vocazioni per una nuova Europa*, Roma 1997, 13 c, p.24.

ومن الآن سيتمّ الإشارة إلى الوثيقة من خلال الرمز NVNE.

فحسب، بل مشكلة كلّ مؤمن يدعوه الله ليحقق رسالة يوكلها له. فهي مشكلة أساسية وعامّة، حيوية وجوهرية في الكنيسة، تشمل الجميع وتتطلب أجوبة ثابتة وحاسمة ومداخلات جذرية وشاملة، وربما تغييرات في طريقة التفكير في الإيمان والخلاص والشهادة والدعوة نفسها والخبرة مع الله. إنها تغييرات ترسم خطوط هوية المؤمن.

إنها مشكلة ثقافة، وأقصد ثقافة الدعوة، وهي طريقة مختلفة تمامًا لعيش حقيقة مشكلة الدعوات في جانبها المعقد، من خلال اعتبارها حقيقة كنسية أصيلة تعطي معنى جديدًا لتلك الأزمات. تتحدث هذه الوثيقة بوضوح عن "ثقافة دعوة"[٦]، مرددة كلمات البابا يوحنا بولس الثاني في تحيته للمشاركين في المؤتمر نفسه، إذ تمنى قداسته ترويج "ثقافة دعوة جديدة بين الشباب والعوائل"[٧].

بعد ١٤ سنة (وإن كان المؤتمر من القرن المنصرم) يمكننا التساؤل إذا قمنا بهذه القفزة النوعية "الثقافية" أو لا زلنا نسير متلهثين وراء الأزمة، نبحث عن ما بقي في

---

6 *Ibidem*, 13b, pp. 22-23.

7 Giovanni Paolo II, *Discorso ai partecipanti al Congresso sulle vocazioni in Europa*, in *L'Osservatore Romano*, 11/V/1997, 4.

كان البابا يوحنا بولس الثاني قبلها ببضعة سنين قد أصدر رسالة لليوم العالمي للصلاة من أجل الدعوات حول موضوع ثقافة الدعوة. وكانت رسالة اليوم العالمي الثلاثين وصدرت عام ١٩٩٣.

السوق، لنجد أنفسنا في النهاية نتعارك مع الأرقام التي تستمر بالهبوط، أو القيام بحسابات ماضية لن تعود أبدًا، بينما ننظر بقلق إلى المستقبل وإلى بعض التوقعات التي تنتظر سقوطنا الحرّ.

وهذا معنى الدراسة التي أودّ تقديمها في هذا الكتيّب. وتشكّل في جوهرها المداخلات التي قدّمتها لـــ٥٠٠ مشارك في المؤتمر الثاني للدعوات في أمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي، والمقام من ١ إلى ٥ شباط عام ٢٠١١ في ساحل العاج. من الضروري تقديم نبذة تاريخية عن هذا المؤتمر: أقيم مؤتمر الدعوات الأول لكنائس أمريكا اللاتينية عام ١٩٩٤ في فترة أتّسمت بأزمة شديدة وطارئة في الدعوات، وكان الأول بين المؤتمرات القاريّة التي تتطرّق إلى موضوع الدعوات في العالم، وأعطى الحياة لتفكير جذري حول الموضوع[٨]. وكان أيضًا أول من بدأ تفكيرًا جديدًا في زمن لا يجب أن يكون زمن أزمة أو طوارئ.

يبدو لي هذا المؤتمر أهمّ من غيره من ناحية أنه أسس خطوة مهمة في رعوية الدعوات، إذ خلق ثقافة للدعوة.

---

[٨] بعد هذا المؤتمر الأول أقاموا مؤتمرًا أوربيًا (روما ١٩٩٧) ثم في أمريكا الشمالية (مونتريال ٢٠٠٢). وفي عام ٢٠٠٩ أقيم مؤتمر عن الدعوات في الشرق ولكنه، ولأسبابٍ عدّة، لم يضمّ كسابقيه الجماعة الكنسية العالمية فكان تأثيره قليلاً.

من معنى وأهمية ثقافة الدعوة يمكننا الوصول إلى نقطة إنطلاق أخرى. من الطبيعي عندما نتكلم عن مشكلة الدعوات، في المؤتمرات والدورات المختلفة، أن ننطلق من حديث لاهوتي، إذ كان "لاهوت الدعوات" العنوان الذي اقترحه عليّ منظمو هذا المؤتمر. وهو منهجية تبدو صحيحة للمشكلة: على أساس أي حديث عن الدعوات لابدّ من كلماتٍ نظرية توضّح العناصر اللاهوتية الأساسية التي تشكّل أسس الحديث.

يشكّل اللاهوت جزءًا من حديثٍ أوسع، وهو الحديث عن الثقافة، كما أن لاهوت الدعوة هو جزءٌ من ثقافة الدعوة. وعلى هذا الموضوع لابدّ أن نعمل أكثر، لأنه الأهمّ وفيه يجد لاهوت الدعوة مكانه الطبيعي والحاسم في التحليل اللاهوتي – العقائدي. وإلاّ فسيولد الحديث اللاهوتي، على الرغم من صحّته، مشوهًا وضعيفًا ودون أسس جوهرية وحيوية.

سننطلق من تعريف الثقافة وما "يصنع الثقافة" بالعموم، لنعرّف بعدها بدقّةٍ أكثر ماذا تعني ثقافة الدعوة، ونكتشف – داخل العناصر التي تؤسسها – واجب لاهوت وروحانية الدعوة بالإضافة إلى رعوياتها.

الثقافة

سنحاول إدراك معنى هذا التعبير، لأننا غالبًا ما نحمل فكرة مجرّدة ومبالغ بها وحتّى سفسطائية عن مصطلح "الثقافة". وفي الوقت ذاته، سنعتبر الثقافة حقيقةً شخصية ونسمّي صاحبها "شخصًا مثقفًا".

في الحقيقة إن الثقافة **نمطُ حياةٍ لجماعةٍ ما**، تنتج من طريقتها في تفسير الحياة والخبرات المختلفة[٩]. إن الثقافة نتاج تفاعل البشر، فنحن نخلق الثقافة ونفسّرها، نغذيها وننقلها (فتصبح "تقليدًا"). يمكننا القول إننا نخلق ثقافة في كل لحظة، وخاصّةً عندما نعيش علاقاتٍ مهمّة للغاية، ليست بالضرورة رسمية بل علاقات فيها مقارنة وتحليل ومشاركة وتحقيق وعمق جماعي... كما يحدث، على سبيل المثال، في مؤتمر الدعوات: توافق بسيط وتفاعل جماعي على الطرق المختلفة التي يقام بها المؤتمر، من إصغاء بسيط إلى مشاركة مهمة للغاية. وفي خلق الثقافة نعبّر عن المصدر الذي أتينا منه أي الإيمان كنقطة مشتركة بيننا جميعًا وثقافة أساسية معروفة لدى الجميع، تغتني بشيء جديد لتصبح شيئًا فشيئًا "ثقافة دعوة"، ثقافة مرتبطة بالحياة وبشخصنا وبجماعاتنا.

---

[٩] أودّ أن أشير في هذا الفصل إلى:

R. Williams, cit. in C. Lutter – M. Reisenleitner, *Cultural studies. Un'introduzione*, ed. curata da M. Cometa, Bruno Mondadori, Milano 2004, p. 20.

يمكننا الحديث عن ثقافة "شيءٍ ما"، عن قيمة نعتبرها مهمة (مثل ثقافة المسؤولية، الحرية، البيئة، أو احترام الآخر...). تريد الثقافة الترويج لهذه القيمة وبناءها ووضعها في مركز الاهتمام العام وإشراك الجميع فيها. في هذه الحالة، لن تكون الثقافة مجرّد فعلٍ عام لا يدلّ على خبرةٍ ما، بل تعني إدراكًا واهتمامًا خاصًّا **ومشاركة شخصية في بناء شيء نؤمن به ونشترك فيه فيصبح شيئًا فشيئًا إرثًا للجميع.**

وبهذا المعنى نريد الكلام عن "ثقافة الدعوة والدعوات".

انطلاقًا من هذا التحديد، لنرى عن كثب مصطلح "ثقافة" من وجهة نظر العنصر المؤسس له. ما هي عناصر الثقافة التي تسمح لنا بالقول، على سبيل المثال، إننا نقوم حقًا ببناء ثقافة المسؤولية؟ وللعودة إلى موضوعنا، يكفي الإشارة إلى المضمون اللاهوتي لنقول: هل توجد في الكنيسة ثقافة دعوة؟ هل اللاهوت هو العنصر الوحيد المكوّن لثقافة الدعوة، أم توجد عناصر أخرى؟ من المهم أن نتساءل، وإلا اعتبرنا بديهيًا ما ليس ببديهي، أو سنبني الدعوة على أساس هشّ يمنعنا من تكملة البناء، فنتحوّل إلى أناس غير فعّالين في إعلان الإنجيل وفي عملنا مع الدعوات. إذا لم نبني ثقافة أصيلة

للدعوة، فمشروعنا يفقد قيمته الحقيقية وكأنه معلّق في الهواء.

باعتقادي، هناك ثلاث عناصر سنشير إليها أدناه: عقلية (العنصر الفكري)، حسّ (العنصر العاطفي)، ممارسة (عنصر السلوك). لابدّ من القول إن هناك فصلاً بين هذه العناصر التأسيسية، ولكن يمكننا أن نضع اللاهوت في العنصر الأول وفي جزء من الثاني. فلنرى أولاً هذه العناصر بصورةٍ عامة دون الإشارة إلى موضوعنا.

عقلية

تتكون الثقافة، أيًا كان نوعها، من معلومات ومفاهيم نظرية توضّح معنى **القيمة الموضوعية** لما نريد أن نبني منه ثقافة، وهي تخلق قناعات فكرية حول الموضوع الذي نتطرق إليه. وهنا سنتعامل مع الموضوع بطريقة فكرية – معرفية، وسنتناول الثقافة كنظرية مقنعة تلد عقلية موافقة لها في الجماعة والأفراد. بهذا المعنى، تصبح الثقافة روح وإدراك الشعب (ethos) وأساس هويته، ثم تصبح شيئًا فشيئًا نمط حياة لجماعة بكاملها[١٠]. وهنا تُبنى الأخلاق والحقيقة بحيث تصبح تقليدًا أي

---

[١٠] لا زلنا في فكرة ويليامز المذكورة في:
Lutter – Reisenleitner, *Cultural studies*, p. 20.

اختصارًا لهوية مجموعةٍ ما، تُنقل من الأكبر سنًا إلى الشباب كشيءٍ غالٍ لا يجب فقدانه في رحلة الأجيال[١١].

إذا أردنا، على سبيل المثال، أن نبني ثقافة الدعوة في هذه المرحلة الأولى، من الضروري تعريف معنى ومضمون الدعوة وهدفها، لنذهب بعدها إلى معناها كما تحدده العلاقة بين الله (الذي يدعو) والإنسان (المدعو)، مع الإشارة إلى الأسباب العميقة التي تجعل كل مدعو يدعو آخرين، لنبين في النهاية النتائج الإيجابية للجميع وللكنيسة إذ ستصبح ثقافة الدعوة جزءًا من إيمان المؤمن.

حسّ

الثقافة هي أيضًا عبور الفرد من القيمة الموضوعية إلى الذاتية، أي إلى القناعة الشخصية بفائدة الموضوع العامّة والشخصية، من أجل بناء شخصيته وحريته وسعادته. في هذه المرحلة ستكون الخطوة التالية من نوع **تجريبي - شامل**، يشرك الشخص بكلّيته، تتضمن عبورًا من المعرفة النظرية إلى الخبرة التطبيقية والشخصية.

[١١] كليفورد جيمس جيرتز (Clifford James Geertz) (١٩٢٦-٢٠٠٦) انثربولوجي أمريكي شهير، يعتبر الثقافة كنظام معاني ومصطلحات يعبّر عنها الأشخاص في صيغة رمزية وينقلونها عبر التاريخ، ومن خلالها يتصلون ببعضهم ويشرحون معارفهم ومواقفهم تجاه الحياة.

وهنا تخلق الثقافة حسًّا موافقًا لها في الفرد، ولن تكون الثقافة مجرّد معلومة تُنقل ويُعاد نقلها كما هي، بل كشيء يُخلق دومًا من جديد ويغتني بإبداع الأفراد.

بالعودة إلى موضوعنا، إذا كنا نتناول تأسيس ثقافة دعوة، لابدّ من التأكد أولاً: هل أصبحت هذه العقلية إرثًا وقناعةً عامة؟ كم مؤمن في الكنيسة يشعر بأنه مدعو كل يوم من حياته؟ ولأنه مدعو فهو يدعو أيضًا آخرين ويصبح وسيطًا لله الذي يدعو، فهل يعتبر هذا كجزء أساسي من تكوينه كمؤمن وليس موقفًا اختياريًا أو مرتبطًا ببعض الدعوات دون غيرها؟

ممارسة

أخيرًا، تعني الثقافة **طرقًا واقعية لتحقيق** النظرية المذكورة. في هذه المرحلة ستكون الخطوة التالية من نوع **وجودي – منهجي**، تهدف إلى ترجمة العقلية والحسّ إلى أفعال ملموسة في الحياة المعاشة. وهنا تعني الثقافة ممارسة أو نمط حياة اعتيادي. ومن أجل تطبيق هذا التعريف لابدّ من وجود جماعة وأفراد ومؤسسة وحسّ المسؤولية الشخصية. ولابدّ أن تتم العملية باتساق للحفاظ عليها حيّةً فلا تتحوّل إلى معطى نظري مجرّد أو توصيات سلوكية غير مؤثرة غالبًا (كأن نقول: "هذا ما

يُفعل دائمًا!")، بل اهتمام بقيمة تتجسد وأفعال واضحة ومسارات أثبتت فعاليتها. فلابدّ للتقليد أن يتجدد.

إذا كان الهدفُ تأسيسَ "ثقافة دعوة"، لابدّ من تشخيص طرق رعوية تترجم لاهوت الدعوة إلى نشاطات رعوية واقعية وتربية إيمانية تصل بالمؤمن إلى اختيار دعوته في مسيرة يستطيع الجميع اعتمادها في المرافقة الشخصية، لكي يعيش كلّ واحد بحسب المشروع الذي رسمه له الله الآب.

يمكننا القول إن الجوانب الثلاثة موجودة معًا: من العقلية العامّة إلى الحسّ الذاتي لتصل إلى الممارسة التطبيقية لمجموعة وأفراد.

وبما يتعلق بحقيقة مثل الدعوة، يدور هذا الحديث كلّه حول الحقيقة المركزية والاستراتيجية لحياة الكنيسة، أي النشاطات الرعوية التي تحيي الدعوات. نستطيع اختصار كلّ ما قيل أعلاه في هذا الجدول.

محتوى (الثقافة بحدّ ذاتها كـــ...)	نوع النهج المتبع	على مستوى الجماعة	على مستوى الفرد
مجموعة حقائق مقنعة موضوعيًا	فكري – معرفي	نقل تقليد	عقلية
مجموعة حقائق مقنعة موضوعيًا وذاتيًا	تجريبي – شامل	الحث على تأسيس تقليد	حسّ

مجموعة حقائق مقنعة موضوعيًا وذاتيًا وقابلة لأن تترجم إلى أسلوب ونمط حياة	وجودي – منهجي	تجديد التقليد	ممارسة وأسلوب حياة

سنتطرق الآن إلى تعريف ثقافة الدعوة، ولكن قبل التحوّل إلى هذا الجزء المهم في موضوعنا، فلنلاحظ كيف وجد مصطلح الثقافة والثقافة المسيحية مكانًا خاصًّا في حياة الكنيسة.

الثقافة المسيحية

سأطرح بعض الأمثلة عن الحاجات الأولية للتفكير بالإيمان كثقافة. وسأقوم بذلك بسرعة لأنه يبقى مقدمة لموضوعنا هذا. وهذه هي الأمثلة: ثقافة الأنجلة الجديدة على الصعيد الكنسي العام، وبضمنه تأسيس مجمع الأنجلة الجديدة، والمشروع الثقافي للكنيسة الإيطالية.

الأنجلة الجديدة

استخدم البابا يوحنا بولس الثاني مصطلح "الأنجلة الجديدة" للمرة الأولى في أول زيارة رسولية له إلى بولونيا، بتاريخ ٩ حزيران ١٩٧٩ عندما رفع صليب الخشب الجديد في نوا هوتا، وقال: "بدأت أنجلة جديدة". وكررها في حديثه في المؤتمر العام الثالث لأساقفة أمريكا اللاتينية الذي عمل على تطبيق وثيقة "التبشير بالإنجيل" (*Evangelii nuntiandi*) في أمريكا اللاتينية.

في تلك المناسبة، تصوّر البابا بعمق بصيرته حاجة أن نعطي "ثقافة مسيحية" جديدة[١٢] للهمم والمؤسسات

---

[١٢] بوبيلا في ٢٩ كانون الثاني ١٩٧٩. وحتّى في سانتو دومنغو في ١٢ تشرين الأول ١٩٨٤، سيعود البابا إلى الموضوع في:
(cfr. Giovanni Paolo II, in *La Traccia. L'insegnamento di Govanni Paolo II*, II, 9 (1984) 1124-1128).

والمصطلحات والأساليب والطرق والأهداف وحكماء هذا العالم..."[13].

إنها طرق ومصطلحات مختلفة للتعبير عن العناصر الثلاثة لمصطلح الثقافة التي رأيناها أعلاه. تنبّأ يوحنا بولس الثاني، النبي والمفسّر الكبير للأنجلة، بمشكلة الكنيسة ولذلك ظل يوصينا بكل قواه أن نقبل تحدي "تثقيف الرسالة المسيحية"، وطلب من الجماعة المسيحية بأجمعها الدخول في هذا المجال ليعود الإنجيل "بشرى سارة" للجميع دون استثناء[14].

أرى ضروريًا، في هذا الصدد، نداء البابا بندكتس السادس عشر الذي أصبح صدىً لنداء البابا يوحنا بولس الثاني، عندما قرر في ٢١ أيلول ٢٠١٠ أن يؤسس "مجمع الأنجلة الجديدة" ليعطي بعدًا مؤسساتيًا وثابتًا لما كان مجرّد حدس حتّى تلك اللحظة. وقام البابا بندكتس بخطوةٍ حاسمة أخرى في هذا الصدد عندما اقترح فكرة "محكمة الأمم". وهذه كلمات قداسته لنفهم معناها: "من المهم أن نضع الأشخاص الذين يعتبرون أنفسهم لاأدريين

---

[13] Cfr. *Redemptoris missio*, 37-38.

[14] راجع حول هذا الموضوع: E. Franchini – O. Cattani (edd.), *Nuova Evangelizzazione: la discussione e le proposte*, Bologna 1991; *La "nuova evangelizzazione"*.

وحول كيف وُلِد هذا المصطلح وما معنى الأنجلة الجديدة، راجع: *La Civiltà Cattolica* (editoriale) III 351-363, quaderno 3461 del 3/IX/1994.

أو ملحدين في قلبنا نحن المؤمنين. قد يفزع هؤلاء الأشخاص عندما نتكلم معهم عن أنجلة جديدة، فهم لا يريدون أن يكونوا هدفًا للرسالة ولا أن يتخلوا عن حرية الإرادة والفكر. ولكن قضية الله تبقى حاضرة بالنسبة لهم، حتّى وإن لم يؤمنوا برعايته الواقعية لنا (...) وكخطوة أولى للأنجلة الجديدة لابدّ أن نظل نبحث ونهتم بالإنسان الذي لا يعتبر قضية الله أساسية في وجوده، لكي يقبل هذه القضية وهذا الشوق الذي يخبئه في داخله"[١٥]. ومن جهة أخرى هناك مسألة تفرض ذاتها بقوة: إن العدمية والعولمة والتنبؤات حول موت الله، لم تستطع جميعها أن تقتلع أو تخفي الظاهرة الدينية، كما تنبأ بعض الناس مستهزئين. فالعالم المعاصر يتسم بأقدمية الدين بل بعدم قابلية إلغائه[١٦].

أخيرًا، تقدم الكنيسة علامة إضافية وموثوقة في هذا الاتجاه "الثقافي" وهي اختيار موضوع السينودس القادم بخصوص الأنجلة الجديدة، وبالتحديد "الأنجلة الجديدة لنقل الإيمان المسيحي"[١٧].

---

15 Benedetto XVI, *Discorso alla Curia Romana per la presentazione degli auguri natalizi*, in *Avvenire* 22/XII/2009, p. 6.

16 Cfr. A. Ales Bello – O. Grassi, *Pensare l'esperienza religiosa*, Sesto S. Giovanni 2011.

١٧ وسيُعقد (بالأحرى عُقِد – المترجم) السينودس من ٧ إلى ٢٨ تشرين الأول ٢٠١٢.

من وجهة نظري، يبدو موضوعنا مرتبطًا باتجاه الكنيسة الحالي. إن الحديث الثقافي، أو ثقافة الرسالة المسيحية، يوضع اليوم كتحدٍ حقيقي أمام الجماعة الكنسية المدعوة أكثر من أي وقتٍ مضى لأن تبشّر بالإنجيل[١٨].

المشروع الثقافي للكنيسة الإيطالية

مثلٌ آخر لأهمية الحديث الثقافي أو للإيمان كثقافة نجده في كنيستنا الإيطالية. يمكننا أن نجد توازيًا بين الدعوة إلى الأنجلة الجديدة وبين ما تفعله الكنيسة الإيطالية منذ سنين، عندما بدأ مجلس أساقفة إيطاليا بالعمل في المشروع الثقافي. إذا سمحت المقارنة مع ما قلناه أعلاه عن حالة الطوارئ أو الأزمة (في الدعوة) لدى تعريفنا لثقافة الدعوة، سنستطيع القول إن هذا المشروع يمثل محاولة للخروج من مصطلح تاريخي لحالة طوارئ الإيمان، أو من أزمة المؤمن كمواطن في الشعب الإيطالي الذي أعطيناه إجاباتٍ عرضية وسطحية عندما تفاقمت الظاهرة في السنوات الأخيرة. سندخل في مصطلح مختلف في مرحلة تاريخية نعيشها على مستوى

---

[١٨] لكي نوجّه الحديث على مستوى رسالة الكاهن خاصّةً، أدعو إلى قراءة كتابي:

Prete e mondo d’oggi. Dal post-cristiano al pre-cristiano, San Paolo, Cinisello Balsamo (MI) 2010. pp.132-151.

الإيمان، ليس لأن الأزمة عبرت (ولا يبدو هذا صحيحًا)، بل لأنها تتطلب إجابات جديدة غير مرتجلة أو آنية، بل تقدّم الإيمان بطريقة جديدة أي كثقافة. "لأن الإيمان المسيحي"، كما يقول المفكر المسؤول عن المشروع الثقافي الكردينال رويني، "لم يوجد أبدًا عريانًا، بل تجسّد كلّ مرة في ثقافات الشعوب المهتدية[١٩]. إن تاريخ إيطاليا هو تاريخ ألفي سنة من المسيحية المتجسدة. ولكن، كما أشار المجمع الفاتيكاني الثاني، أصبحت التغيّرات سريعة في العصر الحديث، ولا تريد المسيحية ولا يجب عليها أن تتوقف، بل أن توجّه هذه التحولات"[٢٠].

وقد علّق الكردينال بانياسكو قائلاً: "إذا كانت الثقافة أسلوب حياة، فكلّ حقيقة تقدمها الحياة من خير وجمال،

[١٩] إنه لاهوت القديس توما الأكويني ذاته، بحسب تحليل ب. فورتي (B. Forte) وكانت إجابة على نداء اللحظة التاريخية التي كان يعيشها، في القرن الثالث عشر، إجابة مليئة بعشق الإنجيل والمحيط الثقافي: "فهم الأكويني بعمق تحدي هذا التفكير الجديد واختار منه أسلوب حياة، أسلوب الثقافة، مدركًا أنه في عالمٍ دائم التحوّل لن يكفي دفع الناس للإيمان من خلال مواضيع تفرضها السلطات"

(A. Guglielmino, *Da Milano a Napoli preti sui passi di san Tomasso*, in *Avvenire* 26/II/2011, p. 21).

[20] M. Corradi, *Ruini: ottant'anni. La mia fede, rispetosa ma ferma nella verità*, in *Avvenire* 19/II/2011, 3.

ومن إشكاليات وغموض، لابدّ أن تأخذ صيغة الفكر الثقافي لتصبح حكمًا نقديًا يفيد الجميع"[٢١].

إن الثقافة مشروع هام وحاسم ومتكامل في أجزائه، فكل موضوع يدخل في حوار مع مواضيع ثقافية أخرى، لأنه يستخدم كلمات الزمن المعاصر ويلمّح لمشاهد من الماضي ومن الحاضر أيضًا. إنه نظام تفكير قريب من ممارسات وحاجات وانتظارات الحياة اليومية، وليس شيئًا فكريًا بل يشمل كل شيء. إنه مشكلة **الأنجلة الجديدة للثقافة وتثقيف الإيمان**[٢٢].

ثقافة الدعوة

كلّ ما قلناه له صدى في طريقة تفسير الحدث المركزي والحاسم في حياة الكنيسة، ألا وهو سرّ الدعوة. وبصورة أساسية لسببين: من جهة لأن مصطلح "ثقافة" الإيمان يتطلب من الكنيسة جهدًا في ترجمة مصطلحات ثقافية معاصرة تجعل إدراك السرّ ممكنًا، ولأن سرّ الدعوة ذاته يتطلب أن يصبح هو نفسه "ثقافة"، أي أسلوب تفكير وحياة في كلّ مؤمن وفي الكنيسة لتكتشف معنى

[21] A. Bagnasco, *Educare alla vita buona del Vangelo: il contributo delle Università,* conferenza tenuta all’Università Pontificia Salesiana il 24/II/2011.
[22] Cfr. *Ibidem.*

العلاقة مع الله والمسؤولية أمام الحياة والآخرين وأمام النعمة المقبولة والله نفسه.

وبصورة واقعية أكثر، إن "ثقافة الدعوة" في رعوية الدعوات لا تنهكها الأزمة والحنين اللاهث إلى الماضي، بل تتطلع تدريجيًا إلى المستقبل لتعبّر عن الأنجلة الجديدة، وهو موضوع في مركز اهتمام "محكمة الأمم" وجزء من المشروع الثقافي. وهنا نعود إلى العناصر الثلاثة التي اعتبرناه أعلاه أقسامًا لمصطلح الثقافة بالعموم، لنملأها من معنى ومحتوى (أو ثقافة) الدعوة، ونجد المكان الصحيح والدور الحقيقي للاهوت الدعوة في حد ذاته وفي علاقته مع جوانب أخرى من واقع الدعوة نفسه.

من أجل تسهيل الفهم، نستطيع استباق العلاقة بين العناصر الثلاثة: تتوافق عقلية الدعوة مع لاهوت الدعوة، وحسّ الدعوة مع روحانيتها، وطرق الدعوة مع تربية (أو رعوية) الدعوة. وهذا ما يوضّحه الجدول أدناه.

العناصر	المحتوى
عقلية الدعوة	لاهوت الدعوة
حسّ الدعوة	روحانية الدعوة
ممارسة الدعوة	تربية (أو رعوية) الدعوة

يتكوّن كلّ عنصرين متوافقين من: عنصر مؤسس وما يوافقه من محتوى ثقافة الدعوة، وهذا سيشكّل الموضوع الأساسي للفصول الثلاثة القادمة.

عقلية الدعوة (لاهوت الدعوة)

علينا في هذه الفقرة التركيز على غنى نتاج اللاهوت حول موضوع الدعوة في العقود الأخيرة من عصرنا.

لا شكّ أنه حدث فريد؛ فأزمة الدعوات دفعت إلى تفكير جاء في أوانه: إذا كانت الأزمة قد فرضت علينا تقشفًا واضحًا في الدعوات، فالتحليل اللاهوتي عرف مرحلة من الوفرة. أشير هنا إلى النقاط التي تبدو أساسية.

الله الذي يدعو: السرّ الصغير في السرّ الكبير

قبل كلّ شيء نقول بوضوح إن الدعوة المسيحية لا تتكلم مباشرةً عن المدعو، أي عنّا نحن، أو عن ما نحن مدعوون لفعله، بل تتكلم أولاً عن الله وتكشف لنا جانبًا أساسيًا من هويته الإلهية. وتقول إن إلهنا يدعو، وهو يدعو لأنه يحبّ. ولا يستطيع ألاّ يدعو ويحبّ، لأن الفعلين مرتبطان فيه: فهو يدعو ليعبّر عن حبه، عن اهتمامه وقلقه (غيرته في الكتاب المقدس) تجاه الشخص المدعو وكأنه الوحيد بالنسبة له، فالله يعرف يعدّ إلى رقم واحد فقط. الدعوة بحدّ ذاتها علامة حبّ الله للإنسان بغضّ النظر عن محتواها. الله الذي يدعو هو صديق الإنسان، يهتم بحياته وبسعادته، لأنه يعلم أن الخليقة ستكون سعيدة إذا حققت فقط المشروع الإلهي إلى النهاية.

والمدعو من الله كائنٌ أراد الله أن يتقاسم معه حياة الثالوث الأقدس، يريد أن يكون محبًّا ومحبوبًا، وهو السرّ الطيب الذي يريد أن يكشف عن ذاته.

الدعوة شيء لا نستطيع اكتشافه مرةً واحدة وكفى، وهي تجعلنا نفهم أن الله، صاحب الدعوة، هو سرّ. وهو سرّ لأنّنا لا نستطيع أن نفهم الله مرةً واحدة وكفى. ففيه الكثير من النور الذي يعمينا إذا ادّعينا النظر إليه بأعيننا الجسدية الفقيرة. ولكن حدث الدعوة يخبرنا دومًا إن الله سرّ طيب وصديق، قريب من القلب وحنون، لأنه يريد أن يكشف عن ذاته، أن يُعرف ويُرى ويُسمع... إنه غني بالمعنى الذي يعطي نورًا لحياتنا أيضًا، ولذلك يرسل لنا رسائل باستمرار (والدعوة هي واحدة من هذه الرسائل وربما الأهم). وعكسه اللغز، إذ لا يمكن فهمه ولهذا السبب فهو مليء بالغموض وتافه، لا يستطيع أن يعطينا معنى لحياتنا، ولا يريد أن يكشف ذاته ولا أن يُرى ويُسمع، ولا يدخل في علاقة معنا ولا يسمح لنا أن نرتبط به. إنه بارد، غير قابل الاختراق، غامض، لا يدعو أحدًا. باختصار، السرّ يرسلنا إلى الله وفي اللغز شيء من الشيطان يمكنه أن يلوّث العلاقة بالله.

حتّى إذا كنّا منجذبين عفويًا للسرّ ورفضنا اللغز، لا نستطيع أن ندّعي عيش علاقة مع الله السرّ دائمًا. لذلك من المهم أن نفهم ونعيش بعمق هوية المدعو، لأن المدعو

الحقيقي (وهو من يكتشف باستمرار سرّ دعوته الصغير) يبقى دومًا في موقف تأمل أمام سرّ الله الكبير، بل يتقبّل باستمرار سرّ أناه الصغير داخل سرّ الله الكبير، أو يكتشف ذاته كجزء من الذات الإلهية. من جهة، إنها مفاجأة كبيرة وثقة لامتناهية، ومن جهة أخرى هو سرّ لابدّ من اكتشافه دومًا تاركين لهذا "النور اللطيف" أن يقودنا إليه[٢٣].

وعلى العكس، من يعيش مع الله علاقة "لغز"، لن يستطيع أبدًا اكتشاف دعوته ولن يشعر بحاجة لاكتشافها. والعكس صحيح، من لا يشعر أنه مدعو ولا يجتهد في اكتشاف دعوته كما يقدّمها الله له، سيتعامل مع الله كلغز وكوجهٍ بلا ملامح ولا صوت، ككائنٍ سطحي وقاسي ترده تساؤلات ولا يجيب، إلى أن يصبح هو ذاته لغزًا...

ولكن هناك جانب آخر مهم في الفكرة اللاهوتية للدعوة، وليس فقط الإنسانية. الدعوة قبل كلّ شيء كشف الله لأنه يكشف في كلّ مدعو **جانبًا خاصًّا من هويته.**

---

[٢٣] من المهم، باعتقادي، الإشارة إلى شعر نيومان الشهير (J.H.Newman)، ألفه بعد رحلته إلى صقلية التي أصبحت مرحلة مهمة جدًا لحجّه الداخلي إلى الحقيقة، إلى السرّ الذي ستغوص حياته فيه: "قدني أنتَ أيها النور اللطيف / قدني في الظلام الذي يشدني / الليل دامسٌ والبيتُ بعيد / قدني أنتَ أيها النور اللطيف / أنتَ قُدْ خطاي، أيها النور اللطيف / لا أطلبُ أن أرى بعيدًا / يكفيني خطوة وفقط الخطوة الأولى / قدني إلى الأمام أيها النور اللطيف...".

فالأب يدعونا أن نكون على مثاله، كلّ واحد بحسب النعمة التي مُنحت له أو المشروع الذي يُبرز في العالم الصيغ المتعددة والاستثنائية لجمال وجه الله الأبدي. تحدثنا الدعوة عن الله قبل أن تحدثنا عن مستقبل الإنسان المدعو أو تحقيقه لذاته. وهي تكشف عن الإنسان، ما هو وما دعوته كونه تعبيرًا عن الله. ولهذا السبب فهي مصطلح لاهوتي رائع، والدعوات كثيرة بقدر عدد البشر الأحياء ولا نستطيع أن نحدد الدعوات بدعوة واحدة.

مضمون (وهدف) الدعوة

إذا كان الله يدعو لأنه يحبّ، "فالإنسان يولد لأنه محبوب، ولأن إرادة الله الطيبة أرادته وفكّرت به وفضّلته على عدم الوجود، وأحبّته حتّى قبل أن يوجد، وعرفته قبل أن يُحبل به في رحم أمه، وكرسته قبل أن يخرج إلى النور (راجع إرميا ١/٥؛ إشعيا ٤٩/١، ٥؛ غلاطية ١/١٥)"[٢٤]. فدعوة الآب للحياة موجهة لجميع "الأحياء"، ليس لأنهم مدعوون لحياة الحيّ فقط، بل ليكونوا على مثال وصورة الابن، على مثال أسلوب حياته المطابق لحياة الآب (هو بكر القائمين من الموت) بفعل الروح القدس. في هذا التطابق تختفي دعوةٌ إلى القداسة كخير أعظم للجميع وأعلى مستوى من الحياة الإنسانية،

[24] NVNE 16, p. 31.

وتتضمن في داخلها كل ما يرغبه أو يميل إليه: الحبّ، هبة الذات، السعادة، ملء تحقيق الذات... **لا يستطيع أحدٌ أن يهب الإنسان كما وهبه الله مسبقًا** وهذا ما يكتشفه الإنسان عندما يبحث أولاً عن ملكوت الله وطريقة التعاون معه باجتهاد، أي يكتشف دعوته كما سنرى الآن. وهنا كلّ شيء "يُزاد له" (متى ٦/٣٣).

وفي الوقت ذاته، دعوةُ الله نداءٌ وحيد وفريد وغير قابل للتكرار، يصل إلى الشخص على حجمه كما يراه الله، إنه حلم الآب لابنه المحبوب، إنه الاسم الذي منحه الله له وكتبه على كفّ يده، الكلمة التي قالها مرةً واحدة ولا تتكرر مرةً أخرى أبدًا!

بين الخلق والخلاص

دعوةُ الإنسان هي مشروعُ الله الخالق والمخلّص. بالمعنى الأول – الله الخالق – تمثّل الدعوة تحقيق مرحلة الجذور أي الفكر "البدائي"، إذا صحّ التعبير، كما خلق الآب كلّ خليقة ووضع فيها صورته ومثاله (كما قيل في النقطة السابقة). وبالمعنى الثاني – الله المخلّص – الدعوة نداء يوجهه الله المخلّص لكل إنسان مخلَّص بدم الابن، لكي يتقبل خلاص الابن ويختار **التعاون باجتهاد في مشروع الخلاص** من خلال مشاركة مسؤولة لخير الآخرين، متشبهًا بالابن بفضل نعمة الله الذي أعطى

حياته لخلاص البشرية جمعاء. الخلق والخلاص قطبان كلاسيكيان لمصطلح (أو سرّ) الدعوة: الأول نظري وتأملي والآخر حيوي وفعّال، الأول تعبير عن الكائن البشري في ذاته والثاني في علاقته مع الآخر.

يبدو أن اللاهوت يركّز اليوم على القطب الثاني من الدعوة ويشير إلى بعدٍ غير مكتشف من هوية المدعو. وبهذا نريد القول إن الدعوة المسيحية لا تتعامل مع الفرد وقدراته الروحية، ولا مع خلاصه وقداسته، بل لابدّ أن يشعر صاحبها بأنه مسؤول عن خلاص الآخرين، مثل الابن، وبصوته يدعو الآخرين ليتقبلوه ويجيبون عليه. ولا يمكن فهم الدعوة على أنها تحقيق لذات الفرد لأنها ستتحول إلى لا معنى لاهوتي ونفسي أيضًا. وكما لا يستطيع أحد أن يعطي الإنسان ما يستطيع الله وحده أن يعطيه، هكذا **لا أحد يستطيع أن يطلب من الإنسان ما يستطيع الله وحده أن يطلب منه**، وهو الدخول باجتهاد في عمل الخلاص. ولكن لا شيء مثل الدعوة المسيحية تجعل الإنسان ناضجًا ومحبًا للحياة ولخلاص الآخر، تمامًا مثل الله!

بهذا المعنى، تصبح الدعوة أعلى نقطة في اللاهوت، مثل تأمل الإنسان في الله الخالق والمخلّص. لأنها تشير إلى أي درجة جعل اللهُ الإنسانَ شبيهًا به وشريكًا في عمل الخلاص وقادرًا على إعطاء الخلاص بنعمته.

وهذا يجعلنا نفهم أن هناك تساويًا وفرقًا في الدعوات المختلفة: فجميعها في خدمة الخلاص، كلّ واحدة بطريقتها، وإذا كان لجميعها ذات الكرامة، فنوع المشاركة في عمل الخلاص هو من يعطيها شكلها. ولكن جميعها مأسوية، لذلك يمكننا القول من الآن: لا يمكن أن ندفع أحدًا لاكتشاف دعوته في عمل رعوي مخدّر وظاهري ينسى "النعمة الثمينة"[25] ويركز على الفردانية الذاتية للشخص[26].

---

[25] Cfr. D. Bonhoeffer, *Sequela*, Queriniana, Brescia 1975, pp. 21-23.

[26] "هناك طفولة روحية متفشية اليوم بأنواع مختلفة وتبنى على التهرب من المسؤولية تجاه الله والآخرين وأنفسنا. تختصر أسرار الكنيسة في منطق استخدامها فقط، مع وجود تفاوت مذهل بين الانتاج الزائد (الروتيني) لخيرات الخلاص وبين خبرتها الفعّالة في المؤمنين. كم من قداديس، صلوات، طقوس، أسرار... تُصب على الفرد دون أن تحثّه على وعي رسالته، وكم نعمة وكلمات لله وخيرات روحية يستولي عليها أفراد مؤمنون وأشخاص غير تائبين، وكم من عقلية تجعل المسيحيين مراقبين لبعض المصطلحات، فلا يرتكبون أخطاءً (تجاوزات)، ويحتفلون (عبادة) لأنفسهم فقط، وكم قابليتنا ضعيفة لنقول إن على المخلَّص بصليب المسيح أن يكون عاملاً للخلاص بحسب مشروع حياة خاصّ ومسؤول. وقلّ ما نعطي نفهم أننا محبوبون من الله وهذا لا يعني فقط طمأنة معزية، بل يعني أنه يستأجرنا – ليس مهمًا كعمّال أو قادة، في الساعة الأولى أو الأخيرة – لنشارك بمسؤولية في عمل الخلاص، كلّ واحد في رسالة شخصية جدًا إلى درجة أنه إن لم يحققها، يبقى مكانها فارغًا" (A. Cencini, *Chiamati per essere inviati.*

أولوية الله وطاعة المدعو

إذا كانت الدعوةُ فعلَ الله، فهي أيضًا فعلٌ يُفرض على حياة الإنسان، مثل صاحبة الكلمة الأولى في حياته، ويفترض بالتالي **الطاعة**. وبفعل الطاعة، وإن كان ضمنيًا، تبدأ حياة كلّ واحد منّا، طاعة وافقنا من خلالها على شروطٍ عديدة مرتبطة بالحياة التي وُهبت لنا: أهل لم نخترهم، جسد بمميزات وإمكانيات محددة، بخواصّ جنسية محددة، وقابليات وذكاء وميول غريزية... لسنا نحن من نحددها ولا تمثّل الأفضل، بل تمثّل ببساطة أنا وليس غيري، أو جزءًا من سرّ الأنا. كان لدينا طفولة، تربية، معلمين، ربما لم يكونوا الأفضل في ذلك الزمن، وتقبلنا الكثير من الحنان، كما عرفنا في الوقت ذاته مشاكل وصعوبات وأوضاع غير كاملة بسبب محدوديتنا البشرية، ولكننا اختبرنا الحبّ أحيانًا.

ماذا أقصد؟ لا يوجد في الحقيقة أيّ حقّ في الحياة الكاملة، في أهل وعائلة كاملة، مربين، أصدقاء، مدرسة،... ثمّ جماعة، مؤسسات، رؤساء، أساقفة، كنيسة، وسائط متنوعة كاملة (قد يكون ادّعاءً شيطانيًا أو طفوليًا)... وكلّ ذلك، مع ما يحمله من محدودية، يصبح جزءًا من تاريخنا ومن سرّنا المخفي مع المسيح في الله

Ogni vocazione è missione, Paoline, Milano 2008, pp. 70-71).

(راجع أفسس ٩/٣)، ومن دعوتنا الوحيدة الفريدة وغير قابلة التكرار. تصبح كهبة وانطلاقًا منها – وليس من مشاريع وهمية – يعرض الله على كلّ واحد الحبّ والخلاص له وللآخرين. فالدعوة هنا لكلّ واحد، وليس في مكان آخر، وليست أجمل ولا أقبح من دعوة الآخرين، بل هي مشروع أسسه الله في تاريخي الشخصي. كما فعل يومًا مع ابنه، المولود من مريم، ليعبّر عن حبّ الآب الخالق والمخلّص. في هذا المشروع يختفي اسم كلّ واحد، وهو يقتضي طاعة كلّ مؤمن. لأنه هكذا فكّر الآب وأحبّ واختار وأغنى بنعمه وأراد الحياة. وخارج هذا المخطط هناك فقط افتراض متمرد ومتباهي، ثمّ لعن وإدانة لإنسان "بلا دعوة"[٢٧] ابتعدَ تدريجيًا عن الله الذي يدعو ويحبّ، إلى درجة جعلته لا يسمع الصوت.

وإذا كان الله لا يدعو، فلا أحد سيدعو. وإذا لم يدعو أحدٌ، فما معنى الحياة عندها؟ ستبقى لغزًا...

الدعوة: نقطة التقاء بين الله والإنسان

نختم هذه الخلاصة اللاهوتية بملاحظة: في الدعوة ومن خلال الدعوة يحدث **ارتباط بين الله والإنسان.** فلنتأمل في مشهد الخليقة في كابيلا سستينا (روما)، في هذا الترابط الحيوي بين يد الله الخالق ويد الإنسان **كبداية**

[27] NVNE 11c, p. 16.

لحوار لن ينتهي. حتّى لو اختار المدعو ألاّ يتقبل الدعوة، سيستمر الله بدعوته إلى النهاية أي الموت، أكثر الدعوات مأسويةً. والإنسان كائن حرّ لأنه أمام الله الذي يدعوه. في الدعوة هناك لقاء بين حريتين: حرية الله الكاملة وحرية الإنسان الناقصة التي تنمو وتتحرر كلما قبل المدعو دعوة الله.

في كل الأحوال، في الدعوة "**يعرف**" **الله الإنسان والإنسان يعرف الله:** يشعر الإنسان باهتمامه بنفسه، ويكتشف قلقه تجاه شخصه، وأنه محبوب بصورة شخصية جدًا ومهم جدًا بالنسبة لله. وأمام الله يعرف ويكتشف ذاته وقابلياته وامكانياته، وحتّى مخاوفه ومقاومته وكلّ ما يجعله يهرب من الله ويصارعه... وهذا لا يحدث فقط في لحظة من حياته سمع فيها نداءً قبل سنين عديدة أو قليلة، بل في كل لحظة من الحياة، ليس لأن الله يدعو دائمًا، كما رأينا أعلاه، بل لأن كل وضع وجودي يصبح بالنسبة للمؤمن دعوة: الصلاة – على سبيل المثال – هو الشعور بأننا مدعوون للقيام قدّام الله ونسمح له بأن يرانا بنظرته التي تحبنا وتخترق دواخلنا؛ وأن نعيش علاقة يعني أن أرى في الآخر وسيلة تقودني إلى الله ومن خلالها يكلّمني؛ مواجهة أحداث سلبية (مرض، حادث، ظلم،...) تعني قبل كلّ شيء سماع صوت الله الذي في كلّ شيء ويتكلم معي من خلال كلّ

الظروف؛ الكلام مع الآخرين يعني نقل كلمة وصوت وصلني أولاً في عالمي الداخلي؛ الحبّ يعني التمتع بحبّ الله والشعور بأننا مدعوون لنقله... وباختصار، حدث الدعوة يشمل كلّ شيء. إنها تعرّف الحياة الداخلية وتعطيها معنى لاهوتيًا.

الحياة دعوة! وكما أن التنشئة دائمية، هكذا الدعوة نداءٌ مستمر. لا توجد لحظة من حياتنا دون أن يدعونا فيها الله الآب.

مسارات للتأمل واسئلة

ذكرنا إلى الآن النقاط الجوهرية التي يبنى عليها لاهوت الدعوة. نعيدها هنا باختصار لنسهلّ التأمل فيها للأفراد والمجاميع:

١. **الله يدعو لأنه يحبّ**، يدعو وهو يحبّ ويحبّ وهو يدعو. من طبيعة الله أن يدعو، لأن الدعوة تعبير عن حبّه وهويته العميقة كسرٍّ طيب (اللغز لا يدعو والسرّ يدعو). ومن هنا نستنتج أن الدعوة **كشف حبّ وهوية الله أكثر بكثير من حاجاتنا الآنية والطارئة حتّى الرعوية منها**. ولكن في كشف الله لسرّه يختفي كشف سرّ الإنسان. فهل هناك رعويات للغز أم للسرّ؟ وهل نبشّر بالله السرّ أم بالله اللغز؟

٢. ليست الدعوة كشفًا للإنسان من خلال الله، بل **كشف الله من خلال الإنسان**. وهو جانب جديد من التأمل اللاهوتي، يذكرنا أن كلّ دعوة تكشف جانبًا جديدًا وأصيلاً في الله. وهذا سبب آخر لنبقى **منفتحين على حقيقة الدعوات ككشف ليس للإنسان فحسب، بل لله أيضًا**. هل يوجد انفتاح في الحقيقة من خلال هذا الدافع اللاهوتي؟

٣. **الله يدعو الجميع**. لا توجد خليقة غير مدعوة، ومن كان غير مدعو لا يوجد أساسًا. ودعوة الإنسان غير متوقعة وسرّية، خارج منطقنا وتوقعاتنا البشرية، ولا توضع على قدم المساواة مع رفض الشخص لنظرية الدعوة أو اعتبارها عديمة الأهمية. لذلك من الضروري **قراءة معنى سرّ دعوة كلّ واحد باحترام** (وعدم التعجب من رفضه الأول وعدم الاستسلام). كيف نجد إذًا مربين للدعوة لا يتركون مشروعَ أو بذرةَ دعوة في شاب قدّام أول رفضٍ لها؟

٤. **الله يدعو دائمًا** في كل لحظة. والدعوة لا تخصّ الشباب فقط. لذلك **تنشيط الدعوة مرتبط بالتنشئة الدائمة**: هما منطقتان استراتيجيتان لحياة الكنيسة اليوم، وتخصّ بالتحديد الكهنة والمكرسين والمكرسات. **من لا يأخذ تنشئته الدائمة على محمل الجدّ، لا يستطيع أن ينشّط دعوات** (لأنه إذا لم يكتشف كلّ يوم أسبابًا جديدة ليتكرّس

لله فسيعيد الأشياء ذاتها) **بينما من لا ينشط الدعوات فهو لا يشعر بالحاجة إلى التنشئة الدائمة.** أليس مفيدًا استثمار الجبهتين في الوقت ذاته؟

٥. **الخلق والخلاص** هما قطبا كلّ دعوة. كل مؤمن مدعو ليحقق مشروعه الأصلي و**مشروع الخلاص** ويصبح مسؤولاً عنه ويعبر من خلاله عن استعداده للتعاون. وهذه نقطة لاهوتية مهمة وغير معتبرة أيضًا. وهذا يدفعنا إلى سؤال فيه شكّ: ألا يمكن أن تولد أزمة دعوة من مشروع مسيحي ضعيف أو غير متطلب كثيرًا؟

٦. نطرح الآن سؤالاً أساسيًا: هل نستطيع القول إن هناك لاهوتًا لهذا النوع؟ ليس فقط في مقاعد الدراسة الجامعية أو في دورات تنشيط الدعوات، بل في التعليم المسيحي الاعتيادي وفي الحياة الرعوية اليومية، إلى أن تصبح عقلية عامّة يتقاسمها الجميع؟ إن لم توجد هذه العقلية، لا يوجد أيضًا تنشيط موّحد وقوي للدعوات، وليس لنا الحقّ في التذمّر من أزمة الدعوات. أو إذا كانت هناك نظرات مناقضة فسيُسمع منها رسالة الدعوة التي تصل إلى الجماعة المؤمنة كلها.

حسّ الدعوة (روحانية الدعوة)

انطلاقًا من هذا التأمل اللاهوتي يمكننا وعلينا، باعتقادي، القيام بخطوة إضافية لخلق ثقافة الدعوة، أي العبور من عقلية إلى حسّ الدعوة، من مستوى المبادئ الفكرية إلى مشاركة الشخص بكليّته، من ما هو صحيح بالنسبة للجميع إلى تلك القيمة التي يختبر المرء أهميتها ومركزيتها بالنسبة له، من اللاهوت إلى الروحانية.

إنها مرحلة حاسمة لكنها لا تطبّق بكفاية، وهذا يؤدي إلى الجمود في العمل الرعوي. ولأن المرحلة الأولى "العقلية" غير واضحة، ففي أحيانٍ كثيرة يولد خطر عدم الانطلاق أو التوقف في اللحظة التي ننطلق فيها؛ فنسعد فقط بالكلام كثيرًا عن تنشيط الدعوات في لقاءاتنا ومؤتمراتنا ومجالسنا وقواعد حياتنا... وفي الواقع، إن لم نشرك الشخص بكليّته (المرحلة الثانية من خطّتنا وهي الخبرة) هناك خطر خلق ثقافة لا تخدم الحياة، بعيدة عن المتاعب اليومية وعن الإيمان لأنها مجرّدة وغامضة. بينما إذا قمنا بخبرة شخصية، سيتخصص الفرد في ثقافته وسيعرف حقيقتها ويطبقها على شخصه ويستمتع بها أو يجعل حياته حقيقية وجميلة أكثر.

لنرى إذًا بعض ملامح روحانية الدعوة التي يجب أن تولد من الحسّ المرتبط بدوره بعقلية الدعوة. سنراه بالارتباط مع النقاط التي أشرنا إليها في لاهوت الدعوة.

المبدأ العام: من اللاهوت إلى الظهور إلى الشعور الإلهي

نستطيع تطبيق هذا المبدأ العام: **لاهوت الدعوة (أو عقلية الدعوة) يصبح روحانية الدعوة (أو حسّ الدعوة) بقدر ما ندرك بعقلنا صحّة ما نؤمن به لاهوتيًا وبالتالي فنحن نصليه ونحبه ونحتفل به ونعيشه ونعانيه ونتمتع به ونتقاسمه ونعلنه بكليتنا.** بكلماتٍ أخرى، ما نؤمن به **يكمل كل مسيرة طاقاتنا الشخصية (النفسية والروحية) الموافقة للإيمان.** لذلك نصليه ونتأمل به، نحتفل به في الليترجيا ومع الجماعة المصلّية، نحبه ونعرفه على أنه مصدر هويتنا، ونعاني منه إلى درجة نعطي حياتنا من أجله ونتمتع به وكأنه ما يجعلنا سعداء، نتقاسمه مع إخوتنا في الإيمان ونعلنه لمن لا يؤمن. إننا في النهاية نعيشه ويصبح واقعًا في حياتنا، إنه "أنا". وعلى تنشيط الدعوات التحرّك في هذا الاتجاه بالضبط، لأنه سيكون دعوة إضافية.

إنه أيضًا عبورٌ من الكلام عن الله إلى الظهور الإلهي وأخيرًا إلى الشعور الإلهي (على مستوى الدعوة). إن

حسّ وروحانية الدعوة يتوجهان بوضوح إلى هذا الهدف، أي إلى الشعور الإلهي بالدعوة أي المشاركة الفعالة والمسؤولة في عمل الخلاص.

وصلنا إلى النقطة المركزية من تأملنا عن الدعوة. فلنرى كيف نحقق هذه المرحلة ثلاثية الأبعاد.

الروحانية كعلاقة (لاهوت)

ننطلق من توضيح المعنى اللاهوتي لمصطلح "الروحانية" الذي غالبًا ما يُفهم كشيء نظري ومجرّد وغامض وسلبي وبعيد عن واقع الفرد، ولكنه في الوقت ذاته شخصي إلى درجة يصبح فيها فريدًا وغريبًا. وفي كلّ الأحوال يبقى خاصًّا جدًا بحيث لا يوصف ولا يمكن نقله. وهو عكس ما تعنيه "الروحانية" التي تأتي من "الروح" وتعني ما يعمله روح الله داخل الثالوث أي العلاقة. الإنسان الروحاني هو الذي يعيش كل علاقة انطلاقًا من العلاقة المركزية في حياته، علاقته مع الله. من خلال هذه الملاحظة، لا تعني العلاقة وحدة لا تعرف التمييز، بل تحقيق الأنا والأنت بفضل تكامل الاختلافات بيننا. نستطيع القول إن في العلاقة، وفي الروحية منها، تلتقي قمة الألفة الذاتية مع قمة الغيرية المختلفة.

وإذا كانت العلاقة مع الله تعني، كما رأينا الآن، خبرة الله الذي يدعو، تصبح النتيجة حتمية: الروحانية المسيحية هي **روحانية علاقة ودعوة في جوهرها.** ونقول إن الروحانية الأصيلة هي تلك المتصلة بصوت الله، وهو صوت غير صوتي، يختلف عن شعوري وميولي ورغباتي... ننمو في الروحانية كلما عرفنا هذا الصوت وميزناه عن الأصوات الأخرى (وبضمنها صوتنا) أي عندما لا نقول لله ما يجب أن يريده، وعندما نكون أحرارًا في الاشتراك بمشروعه حتّى عندما لا يتوافق مع مشروعنا.

من وجهة النظر هذه، نفهم تنشيط الدعوات على أنه مسيرة طويلة على طرق خبرة الله الحقيقية، وعندما تكون حقيقية تصبح **خبرة يصنعها الله منّا من خلال التجربة** كما تروي لنا الأسفار المقدسة[٢٨]، وتتطلب الاستعداد الداخلي لعيش العلاقة مع الله بقوّة إلى درجة نسمح له بأن يجرّبنا، أن يطلب منّا شيئًا ثمينًا ومستحيلاً بشريًا. والله هو الوحيد القادر على ذلك. أمّا نحن، وعند هذا الحدّ، نختبر أن عند الله كلّ شيء ممكن حتّى المستحيل بشريًا.

---

[٢٨] إنها، باعتقادي، من أجمل أفكار فون بالثازار (لاهوتي معاصر – المترجم) أن نقرأ في الكتاب المقدس وفي الإنسان الكتابي ليس خبرة الإنسان التي يصنعها مع الله، بل خبرة الله التي يصنعها مع الإنسان.

وهذا هو لاهوت الدعوة الذي يخلق روحانية وحسّ الدعوة.

لننتبه إذًا ألاّ نفسّر الدعوة كتحقيق لرغبات شخصية، أو كاغراء لا يُقاوم يختبره المرء في ذاته، أو كشعور آني يوفّق بين متطلبات الدعوة وعالمنا الداخلي. هذا التفكير تافه ووثني وغبي يتبين في الكتاب المقدس كل مرة يعترض فيها المدعو ويهرب ويبين ميله لشيء مختلف أو يجد طلب الدعوة غريبًا. خلق ثقافة الدعوة يعني أن نطهّر فكرة العلاقة والخبرة مع الله. فالقلب الذي تعلّم الطرق الوعرة في العلاقة مع الله، هو الوحيد الذي يختبر الدعوة، والدعوة الحقيقية تفترض صراعًا مع الله. لابدّ من الاستعداد لهذا الصراع لأنّه يشكّل أساس تنشيط الدعوات.

اهتداء الحسّ (الظهور الإلهي)

من اللاهوت إلى الظهور الإلهي، من الله الذي يصنع خبرة من الإنسان إلى الإنسان الذي يختبر هو أيضًا خبرةً أكبر منه، سلبية أو إيجابية، بكلّ إنسانيته وشموليته وحسّه لأنّ الله هو الذي يقودها. إذا أردنا أن ينتبه القلب للدعوة ويتقبلها كصوت يأتي من العلى، على الرغم من الأصوات الغريبة، لابدّ قبل البدء بتنظيم مشاريع رعوية

وتربوية على صعيد مجاميع، أن نقوم بعمل صبور مع الفرد وعالمه الداخلي، إنه عمل **تغيير الحسّ.**

لابدّ من التعامل مع الحسّ لأنه الجزء الذي يقيّم الشخص، وهو ما يجعلنا نشعر أنفسنا طيبين أو سيئين، صالحين أو أشرار، يحكم على أمرٍ أخلاقيًا ويحدد إن كان مسموحًا به أم لا، جذّاب أم مكروه، إيجابي أم سلبي... وكلّ واحد منا، كما يذكّرنا علم النفس، لديه الحسّ الذي يستحقه ويُبنى شيئًا فشيئًا من خلال اختيارات الحياة، سواء كانت صغيرة أم كبيرة، وأحيانًا من خلال اختيارات لا نعيرها أهمية. حسّ الدعوة ذاته (أو الوعي) هو ثمرة هذا العمل، ليس شيئًا يأتي من الفراغ أو نفترض وجوده في الجميع، فهناك شباب كثيرون لا يملكون هذا الحسّ تجاه الدعوة (كما يوجد كهنة ومكرّسون فقدوا تدريجيًا حسّ الدعوة وكأنهم غير قادرين بعدُ على الإصغاء لله الذي يدعو).

إنه عمل له علاقة كبيرة بالروحانية. الإنسان الروحاني يعني الشخص الذي يعيش ملء حسّه الإنساني. ولكنّه حسّ مؤمن، مهتدي، روحاني، منفتح العقل والقلب على المضامين اللاهوتية للدعوة وقادر على تذوقها، ينتبه بالحواس الخارجية والداخلية على علامات حضور الله ويدرك هذا الحضور في حفيف الرياح الخفيفة. حسّ حرّ في معرفة وتأمل الظهور الإلهي **كسرّ طيب يجذب**

ويختفي فيه سرّ أناه الشخصي... للإنسان الروحاني حسّ السهر مع تركيز فريد. إنه مؤمن يشعر أنه مدعو دائمًا من الله من خلال الناس. وفي داخل الظهور الإلهي اليومي **تصبح الدعوة هي الظهور الإلهي** (مثل كل الدعوات في الكتاب المقدس) مثل العليقة التي تشتعل بحضور الله الدائم ويُسمع منها صوت غير منقطع يدعو ولا تكفي الحياة بأكملها لاكتشاف سرّه الكامل. وتعود فكرة الدعوة كنداء وتنشئة دائمة.

لابدّ لتنشيط الدعوات، مهما كان نوعه، أن يدفع المرء إلى اهتداء الحسّ، كمرحلة عبور من الحسّ الوثني أو الإنساني البحت، إلى حسّ يجعل المؤمن قادرًا على استخدام حواسه كمؤمن، فـ"يرى" الله ويرى بعيون الله، "يسمع" صوته وكلمته ككلمة الحقّ الوحيدة ويتأثر أمام محبته... يقول كثيرون اليوم إننا في خطر "فقدان الحواس" أو أننا فقدنا طابعها أو عنصرها الروحي: والسبب على الصعيد الإنساني يعود إلى فرط استخدامها وسوء تغذيتها، وعلى الصعيد المسيحي لأننا نملك عيونًا، آذانًا، يدين، رجلين، قلبًا... حواسًا غير قادرة على إقامة علاقة مع الله والشعور بحضوره في حياتنا الحلوة والمرّة. وخاصّةً الشباب هم في خطر ما يقوله المزمور: "لهم عيون ولا يرون ولهم آذان ولا يسمعون ولهم فم ولا يتكلمون...". لذلك التنشيط الذكي للدعوات يعني إستعادة الحواس

الإنسانية والحسّ الإيماني. ليتعلم الإنسان رؤية الله وسماع صوته الذي لا يتوقف عن دعوته. ويستطيع القيام بهذا التنشيط مَن يملك عيونًا وآذانًا وفمًا... تعمل كلّها جيدًا.

من الامتنان إلى المجانية، من الحرية إلى المسؤولية (الشعور الإلهي)

إنّ الدعوة في كلّ مراحلها، من البحث عنها إلى اختيارها النهائي، حدثٌ يتّسم بتغيّرات إنسانية. حدثٌ يُعاش بكثافة ليصبح أيضًا حدثًا روحيًا يسمُ العلاقة مع الله والبشر. نذكر هنا باختصار المراحل الأساسية والحاسمة في المسيرة التي تقود تدريجيًا إلى قرار الدعوة الأخير، وهناك مراحل نمو نفسية وروحية. وهذه نقطة تتوقع فيها روحانية الدعوة نتائج تربوية.

التأمل في البداية

في البداية هناك دائمًا الحبّ، حبّ الله الذي يدعو – كما رأينا أعلاه – ولهذا يعبّر عن محبته واهتمامه وعطفه للإنسان الذي دعاه. نستطيع القول إن المرء يصبح مسيحيًا عندما يسمع كلمات الآب للابن (في المعمودية) وكأنها موجّهة له: "أنت هو ابني الحبيب، أنت فرحتي". عندما يسمع هذه الكلمات ويبكي من الفرح، فهناك يولد المؤمن، وهناك يولد حسّه النموذجي. لكن إذا ولد المؤمن من هناك،

فمن هناك أيضًا يخرج المدعو إلى النور، لأنه لا يمكن سماع هذه الكلمات والرجوع إلى الحياة الماضية، وكأن شيئًا لم يحدث.

إن الخطوة الأولى لتنشيط الدعوات وخلق حسّ الدعوة هو **التأمل**. لا توجد دعوة دون تأمل. وكلما تأمل المدعو، كلما استطاع تحقيق هذه المراحل العصيبة والمميزة لدعوته الحقيقية: من الامتنان إلى المجانية، من الحبّ الذي نتقبله إلى الحبّ الذي نهبه.

إنها مرحلة أساسية ومتطلبة في اختيار الدعوة، حيث يتطلب منح الذات بصورة جذرية، مثل دعوة التكريس الخاصّة، وحيث لا يشعر المرء أنه بطل. فالدعوة المسيحية لا تبحث عن أبطال، ولا توجد بطولة في الإجابة على الدعوة، بل مجرّد اعتراف بالحبّ الذي تقبله المرء وتغيير الحسّ بحيث يجعل المدعو يشعر **أنه من المنطقي والطبيعي جدًا منح الذات للآخرين لأن الحياة هبة نتقبلها تميل بطبيعتها لأن نهبها**. على كلّ شاب أن يفهم أنه حرّ في اختيار مستقبله، لكنه **ليس حرًّا في الخروج من هذا المنطق، من هذا الربط بين الهبة التي يتقبلها والهبة التي يمنحها**، لأنه إذا خرج سيختار تعاسته وسيصبح نسخةً مزورة من نفسه[٢٩].

[29] Cfr. NVNE 36b, p. 93.

تكمن الحرية الحقيقية في الشعور بالمسؤولية عن الحبّ الكثير الذي يتقبله الشاب، لأنه – كما يذكّرنا علم النفس – لا شيء يجعلنا مسؤولين مثل الحبّ أو الشعور بأننا محبوبون. نصبح مسؤوليين إلى درجة الشجاعة في مواجهة الشرّ وعدم الحبّ الذي في العالم بكل أصنافه، ونكون مستعدين أن نحمل على أكتافنا هذا الشرّ ونجعل حياتنا إجابةً له، **أو نقوم باختيار دعوة لا يضع فيها المرء أولاً خلاصه الشخصي بل خلاص الآخرين**، كما ذكرنا أعلاه. المهم هنا التأكيد أن هذا الاختيار ليس استثنائيًا أو بطوليًا، بل على خطّ إدراك الحبّ الذي تقبّله الإنسان من الله والآخرين. إنه اختيار لا يخصّ دعوة معينة، بل على الجميع القيام به، لأنه قانون طبيعي وعام، محفور في القلب وهو أقل ما يمكن فعله. إنه قانون الهبة و"قاعدة" الحياة. وهو أكثر من مجرّد قاعدة...

من القاعدة إلى المأسوي

مؤثر ومأسوي جدًا، كما يقول برديائيف، فيلسوف الوجودية المسيحية، الذي يتخيل أن بداية وختام تاريخ الإنسانية يتسمان بتدخلين إلهيين هامين ومتشابهين ظاهريًا، لكنهما يتوجّهان إلى محاورين مختلفين. وجّه الله السؤال في البداية لقايين، الأخ الأكبر، الذي يجسّد الشرّ، ليسأله عن هابيل، الضحية البريئة، كما يروي الكتاب المقدس وكما

يبدو منطقيًا. وفي الختام يتوجه السؤال بطريقة غير متوقعة لهابيل، وهذا ما يدهشنا كثيرًا، على الرغم من منطقيته في تفكير برديائيف. فالمفكر الروسي برديائيف يعتقد بأن الضمير الأخلاقي يبدأ مع السؤال والتوبيخ الموجّه لقايين الذي يمثّل الشرّ، ولكنه يتحقق بملئه ويصبح ناضجًا عندما يتوجّه بنفس الدافع لهابيل الذي يُعتبر الجزء الطيب منّا: "هابيل، ماذا فعلتَ لأخيك قايين؟"[30]. وهذا دافع قوي للدعوة وإن بدا غريبًا: فبه يولد الضمير الأخلاقي وضمير الدعوة أيضًا. وهذا يعطي نبرة مأسوية للحياة والحياة المسيحية، ويجعلنا نعبر من اللاهوت إلى الظهور إلى **الشعور الإلهي**، أعلى تعبير عن خبرة الله (أو ما يصنعه الله لنا)، في ثلاثة معاني، وهي:

- **الله الذي يعاني**، صمته وكلمته (فالإيمان يعاني أيضًا كما رأينا).
- يعاني **مثل** الله.
- **يعاني في ومن أجل اولئك الذين يعاني الله فيهم.**

---

[30] N. Berdiaev, *De la destination de l’homme. Essai d’Ethique paradoxale*, L’Age d’homme, Lausanne 1979, p. 356.

ويقول في مقطع آخر من الكتاب ذاته: "يكمن واجبنا الأخلاقي في رفع المعاناة، سواء عن المجرم أو عن أكبر الخطأة؛ ففي النهاية **ألسنا جميعًا مجرمين وخطأة؟**" (ص٢٥١).

وكل ذلك على صورة الابن يسوع الذي أعطانا بآلامه أوضح علامة على كل ذلك. على الصليب عانى يسوع من ترك الآب (المعنى الأول). ولكنه عانى أيضًا مثل الله (المعنى الثاني): نحن لا نعلم في الحقيقة إن كان الله يتألم (وهي مسألة قابلة للنقاش)، ولكن إذا كان الله يتألم فإنه يتألم كبريء، مثل يسوع على الصليب، الحَمَل الذي وحّد في نفسه **أقلّ ذنب ارتكبه وأكثر عقاب استحقه**. وهكذا أشار إلى أعلى نقطة في دعوة الإنسانية: العيش مثله واختيار آلامه، مع قرار إعطاء الحياة للآخرين لنشعر أنفسنا مسؤولين عن خلاصهم، وخاصّةً أولئك البعيدين والمحتاجين إلى الخلاص (وهذا هو المعنى الثالث) فنحمل فينا مشاعر الابن[٣١].

أنا مقتنع أن اللاهوت الحقيقي للدعوات لابدّ أن يكون اليوم شعورًا إلهيًا بالدعوة، في زمن تعيش فيه الكنيسة مرةً أخرى زمنًا يدفع فيه الشهداء والأنبياء بدمهم ثمن رفع صوتهم عاليًا. إنها كنيسة الأنبياء الذين أعطوا الحياة للكنيسة وجعلوا الله يعاني، وعانوا مثل الله وفي أولئك الذين يعاني الله فيهم!

---

[٣١] وربما ليس هذا هو الضمير الذي تربيه الحياة الرعوية بين المؤمنين، إذا كان صحيحًا ما يقوله كيركغارد: "كان يجب أن تكون المسيحية علاجًا جذريًا، بينما أصبحت في الواقع واحدًا من الأدوية التي تستخدم لعلاج الانفلونزا".

وإني متأكد أن التشديد على المسؤولية في الإيمان سيسمح بتقديم مقنع وفعّال ومعاصر للمسيحية وسيجلب دعوات جديدة كردّة فعل ضدّ النشاط الرعوي النابع من الراحة النفسية أو من الجانب الجمالي الروحي الزائف أو الاهتمام الروحي الشخصي فقط بالدعوة، وهو ما نسمّيه "نشاط رعوي مضادد للدعوات". فنفكر، على سبيل المثال، بحاجات الشباب المؤمنين التي تنضج انطلاقًا من حسّ الدعوة هذا، باختيار الحياة والمشاركة في الحياة الاجتماعية والسياسية كفعل مسؤولية تجاه الآخرين كمؤمنين (وليس من منطلق منصب أو مال أو شهرة أو رفاهية...)، أو فلنفكر في الدعوة الكهنوتية أو الرهبانية التي تتّخذ دافعًا جديدًا (وتتطهر) إذا ما اكتسبت قيمة المسؤولية الأخلاقية تجاه الآخرين، كخلاص نتقبله للآخرين أولاً قبل أنفسنا.

ثقة الطاعة (أو المستحيل البشري والممكن الإلهي)

أخيرًا نقول إنّ حسّ الدعوة عنصر نفسي، ولكنه يحدد بخبرة ليست نفسية فقط. إنها خبرة الإيمان، إيمان مبني على الثقة بنظرة الله، من اليقين بإمكانية الثقة به وترك حياتنا له، إلى حدّ الإجابة بـــ"نعم" على ندائه. ليس لغرض الحساب أو لمصلحة شخصية، وليس خوفًا أو بحثًا عن وسائل الراحة، وليس لكسب إعجاب شخصٍ ما، بل فقط من أجل الحبّ الذي يأتي من ثقة كاملة بالآخر. والثقة هي

المساحة المطلوبة في أي مسيرة قرار وخاصّة قرار اختيار الدعوة، ولا يمكن ملء هذه المساحة بالأرقام[٣٢]**.** فالأرقام، بهذا المعنى، مضاددة للإيمان ولا تقود إلى معرفة الله. وبالنتيجة من يحسب أرقامًا يصعب عليه اكتشاف دعوة تأتيه من السماء.

من جانبٍ آخر، وكما قلنا، في حدث الدعوة يكشف الله والإنسان عن ذاتيهما. والدعوة التي يعرضها الله هي الشرط والتحدي الحاسم لفعل الإيمان في الإنسان. ولا توجد لحظة حاسمة مثلها: إما حساب الأرقام أو الثقة، إما القرار الإنساني البحت أو القرار المسيحي النموذجي. في نوع من التناقض نستطيع القول إن الأول يريد أن يكون آمنًا وبأقلّ قدر من الخسائر، أما الثاني فبطبيعته **خطر وتكلفته غالية.** القرار الإنساني دقيق وواضح، أما المسيحي فهو قرار دقيق ولكنه **لم يكن أبدًا واضحًا**. يمكن التنبؤ بالقرار الإنساني وأن يقبل وجهين أما القرار المسيحي **فحاسم وأمين** ولكن أمانته **خلاّقة**، والقرار الإنساني يُحسب بالأرقام أما قرار المؤمن فيبنى على الثقة لأنه يعني الاتكال على الله الذي يعرض دومًا على الإنسان ما يفوق قدراته، كما تروي لنا جميع قصص الدعوات في الكتاب المقدس. نكرر أن تنشيط الدعوات يعني في الجوهر

---

32 Cfr. A. Cencini, *Mi fido… dunque decido. Educare alla fiducia nelle scelte vocazionali*, Paoline, Milano 2009, pp. 65-79.

تربية على فعل الإيمان، يسير في رحلات الحياة الرعوية. ونستطيع القول إن تنشيط الدعوات جزء جوهري من فعل الإيمان، يرافقه من تكوينه وهو التعبير الأخير والكامل له. التربية على الإيمان في مرافقة الدعوات يعني تنشئة **حسّ واثق** بحيث يقود شخصًا ما إلى اختيار غير مبني على قدراته وعضلاته ولا على ذوقه وميوله الطبيعية، ولا على توقعاته للنجاح وتحقيق ذاته، بل على واقع مجرّد وقاسي: "أنت الذي تدعوني، أنت الذي تحبني، إذا كنتَ أنتَ مَن فتح لي هذا الطريق، فلا معنى أن أحسب وأتحقق مما أستطيع أن أفعله، بل الأمر الوحيد المهم هو الثقة بكَ، أوكل لكَ حياتي ومستقبلي، واؤمن بأن **المستحيل إنسانيًا يمكن أن يصبح ممكنًا إلهيًا**".

مسارات للتأمل واسئلة

نكرر ذات الدعوة لمراجعة طريقتنا في تنشيط الدعوات التي وضعناها في نهاية الفقرة السابقة، وذلك من خلال نقاط ستلخّص ما قلناه أعلاه من جهة، وستشجع على التأمل بانتباه من جهةٍ أخرى.

١. هل هناك حسّ الدعوة في الكنيسة كما وصفناه لدرجة الوصول إلى روحانية الدعوة؟ يتعجب البعض من هذه الخبرة أو يجدون الربط بين الحسّ والروحانية غريبًا. من الواضح أن غياب الروحانية والحسّ في الدعوة يجعل

اللاهوت ضعيفًا وعديم المعنى، وكذلك النشاط الرعوي الذي يُراد به تنشيط الدعوات.

٢. هل هناك اهتمام خاصّ بهذا التحوّل التدريجي من اللاهوت إلى الظهور إلى الشعور الإلهي؟ أم ينتهي كلّ شيء في الجانب اللاهوتي الفكري؟ هل يوجد شعور في النشاط الرعوي بالعموم وفي تنشيط الدعوات؟

٣. نفهم خبرة الله على أنه يصنع من خلالنا خبرة. هذا المبدأ الكتابي الأصيل قد يقلب طريقة فهم الدعوة؛ إذ تبدو كأنها وضعت على مستوى العواطف والاغراءات الخاصّة التي لا زالت بحاجة إلى التبشير، أو قولبت لتتناسب مع القدرات أو المهارات الخاصّة، وكأنه عمل الأنا وتحقيقه الذاتي، وتفتقر لسرّ الخلاص الذي يشترك فيه كلّ مؤمن. هل يمتلك النشاط الرعوي الشجاعة ليقوم بهذا العبور الاستراتيجي من القواعد إلى المأساة في الدعوة؟

٤. ندخل قبل كلّ شيء إلى مستوى الحسّ الإنساني والروحي لنخلق حسًّا حقيقيًا للدعوة، ولا نستخدم حافز المصلحة وأحيانًا الحافز التجاري لحاجات الكنيسة الرعوية ونقص الكهنة، الخ. كم تعمل رعوية الدعوات في اهتداء الحسّ؟ وما هي صورة الله والكنيسة التي تُعلن من خلال رعوية الدعوات؟

٥. أخيرًا، كم نحتاج من الشجاعة لنقدّم مسيحية ناضجة للناضجين، أو نقدّم اختيار إيمان يولد من الثقة ويصبح اختيارًا للدعوة يولد هو الآخر من الثقة؟ كم تستطيع رعويات الدعوات أن تقدّم مسيرات طاعة للإيمان وتمييز مثل الابن؟

الممارسة (تربية الدعوات)

تناولنا القطبين الأولين: عقلية (ويتوافق معها لاهوت الدعوة) والحسّ (وتتوافق معه الروحانية). بقي هناك عنصر ثالث وهو الممارسة ويتوافق معه تربية الدعوة. ولكن من المهم جدًا توضيح هذا البناء النظري وتمييز عناصره. هناك أمرٌ أكيد: إن فقدت ثقافة الدعوة في الكنيسة، سنبقى نواجه مشكلة الدعوة من جانب واحد وسيبقى جانبًا غير فعّال لا بل متناقض.

بعد أن رأينا العنصرين الأولين الأساسيين، نستطيع القول إن خلق ثقافة دعوة حقيقية ليس مهمًا فقط لأهداف الدعوة (خاصّةً إذا فُهِمت من جانب واحد وكأن الدعوات محصورة على بعض الناس) بل لأهداف الأنجلة الجديدة التي تعتبرها الكنيسة اليوم واجبًا طارئًا، أو لأهداف الطرق الجديدة التي يتبناها المؤمنون في الكنيسة تجاه من لا يؤمن في "محكمة الأمم" التي دعا إليها البابا بندكتس السادس عشر وذكرناها أعلاه. أليس بشرى سارة القولُ لمن لا يؤمن، وإن بطريقة غير منتظرة وصعبة القبول ولكنها ذكية وفعّالة ومفهومة ومنطقية، إن شخصه وحياته ومستقبله... مهمٌ لأحدٍ ما؟ وإن الله فكّر به منذ الأزل وأحبّه وفضّله على عدم الوجود؟ مَن يستطيع أن يبقى لا أباليًا أمام حبّ أزلي، أمام فكرة ابن مفضّل، محبوب من الأزل وإلى الأبد، حبّ يتغلّب حتّى على الموت؟ أو أمام مَن يدعوه

لتحقيق مشروع خاصّ، وحيد وفريد؟ وأن هذا المشروع يجعله الآن مسؤولاً عن الخلاص، ليس فقط خلاصه الشخصي بل خلاص الآخرين أيضًا؟ لا أحد يسمع هذا الكلام ويبقى لا أباليًا.

وأقول بقوةٍ وقناعة إن خيار الدعوة لا يُفرَض ولا يأتي بالضرورة في ختام مسيرة إيمان، بل قد يأتي **في البداية** ليدفع مسيرة الإيمان. فحيث يأتي نداء لتبني مسؤولية الخلاص (ليس الشخصي فحسب بل خلاص الآخرين أيضًا) وإعلان الإيمان أو رسالة الإنجيل، نرى تقبّلاً مختلفًا نسبةً لعرضٍ لا يتطلب الكثير من الجهد والمسؤولية. إذ ليس صحيحًا أن الإنسان ينجذب لما هو سهل ومريح؛ فإذا لم يكلفه اختياره شيئًا، فلن تكون له أية قيمة. والعكس صحيح، فالإنسان يعطي معنى قويًا لحياته، وأحيانًا يعتمد هذا المعنى على الثمن الذي يدفعه. ما أسميناه مأسوي (وبالمعنى الذي اعتمدناه) هو في الحقيقة مقنع أكثر من العرض السلمي الذي لا يتطلب شيئًا.

كما نرى، هذا يجعلنا نتنفس هواءً مختلفًا وصافيًا جدًا في أجواء غير متوقعة، ويعطي مشكلة الدعوات مساحة واسعة ومقنعة، كنسية وعامّة. ولكن من الضروري تحديد ممارسة تتوافق مع الدعوة أو التفكير بجدية بطرق واستراتيجيات عملية نطبق من خلالها هذا النوع من

البشارة. فالأنجلة الجديدة، كما رأينا، تعتمد على استراتيجيات جديدة وتفترض بالتالي تربية جديدة.

وهذا ما نحاول فعله لنكمل تحليلنا عن ثقافة الدعوة مع اعتبار العنصر الثالث وهو الممارسة الذي يتوافق مع تربية أو رعوية الدعوة.

لن تكون الثقافة إن لم تحدد طريقة أو مسيرة تسمح لمضامين ثقافةٍ ما أن تتقاطع مع الحياة اليومية وتصبح حياةً في كل ظروف الوجود، إلى الموت، وتستبعد الخبرة المنحرفة والسطحية وغير الواثقة. من جهة أخرى على اللاهوت أن يتحوّل إلى روحانية: فإن لم يترجم إلى مسيرات روحية يستطيع الجميع السير فيها، فلن يستحق أن يسمّى لاهوتًا مسيحيًا. وفي الوقت ذاته، فإن الروحانية التي لا تترجم إلى مصطلحات بسيطة وسهلة يفهمها الجميع وفي تربية وخبرات حياة تنفع الجميع، فلن تكون روحانية مسيحية. فالتربية ليست شيئًا ثانويًا في المنظور المسيحي[٣٣]. هذا الحكم المسبق ضد التربية يضع حدودًا لثقافة الدعوة: فتكون واضحة في مضمونها وفي العقلية العامة التي تفسرها وقادرة على انتاج روحانية دعوة،

---

[٣٣] بهذا المعنى تعتبر مهمةً وثيقةُ الكنيسة الإيطالية حول التربية: Conferenza Episcopale Italiana, *Educare alla vita buona del Vangelo. Orientamenti pastorali dell'Episcopato Italiano per il decennio 2010-2020*, Roma 2010.

ولكنها ضعيفة ومنهكة في تحديد مسارات معينة وفي الطرق التطبيقية والتربوية التي تحققها. علينا القول إننا لا نزال في أزمة ثقافة دعوة حقيقية إذ ينقصها عنصر أساسي.

سأستخدم هذه الطريقة في تناول هذا العنصر الثالث من تحليلنا. وسأنطلق من بعض المصطلحات التي أصبحت استراتيجية لرسم خطوط الوضع الذي نعيشه بخصوص رعوية الدعوات، ونجمع فيه معنى الأزمة التي نلاحظها في الكنيسة بطرق مختلفة، وفي الوقت ذاته أريد الإشارة إلى مضامين بناء رعوية دعوات حقيقية[٣٤].

دعوة في حالة طوارئ

ليست الدعوة في حالة طوارئ في كلّ مكان وبنفس المستوى. الـ"طوارئ" تعني شيئًا جديدًا لكنّه يخرّب، يتطلب تدخلاً مباشرًا لكنّه ليس موزونًا دائمًا. على سبيل المثال، تلتجأ بعض الأبرشيات الإيطالية وخاصّةً الفقيرة في الدعوات الكهنوتية، إلى "استيراد" كهنة من الخارج وحتّى من قارات أخرى ومن ثقافات كنسية وخبرات حياة مختلفة،

[٣٤] أنا مدينٌ في هذه المنهجية لمقال "سارتوريو" حول حالة الطوارئ التربوية التي تعيشها إيطاليا اليوم، ويعلق فيها على وثيقة مجلس أساقفة إيطاليا الآنفة الذكر: L. Sartorio, *Questione educativa. Rischi e urgenze*, in *Consacrazione e servizio* 12 (2010) 32-37.

وأحيانًا دون دراسة، فتملأ الفراغات دون السؤال عن المعنى أو الجديد الذي تأتي به أزمة الدعوات في الحياة الرعوية. فالأزمة بحدّ ذاتها ليست سلبية ولكن لا يجب اعتبارها شيئًا اعتياديًا وطريقة طبيعية لحلّ مشكلة الدعوات الكهنوتية.

وهنا تأتي فائدة مصطلح "الطوارئ"، فهي مثل القمة الجليدية، تظهر على السطح إلا أنّ جزءًا أعمق يسببها. ولابدّ من تعديل الجذر وعدم الاكتفاء بالوضع الخارجي، خاصّةً أنّ الجذر معقد كما يتبين من ظواهره الخارجية. فقد يكون نقصَ لاهوتٍ حقيقي في الدعوة أو حسّ الدعوة العام فينا نحن المؤمنين في الكنيسة، وربما بصورة أخصّ نحن الكهنة والمكرسين والمكرسات. لكن لا نبحث عن أسبابٍ خارجية، من خلال شكاوي العالم العلماني الروتينية، أو العالم المعاصر وما بعد الصناعي، أو ما بعد الماركسية،... أو ما بعد المسيحي، لأن البحث عن أسباب خارجية سهل بالنسبة لنا ولكنه يبقى آلية دفاعية غير مفيدة نتخلى فيها بسهولة عن مسؤوليتنا... فليس صحيحًا أن عالمنا هو عالم ما بعد المسيحية، وأن المسيحية ليس لديها ما تعطيه وكأننا آخر مَن يتوجّه نحو الفشل أو رجالاً من الدرجة الثانية في مرحلة تاريخية انتهت نهائيًا. كلا، لأنه – كما يشير المؤلف فولمينتي تايلور– لا توجد علاقة بين

الحداثة (أو العلمنة) وبين فقدان الإيمان[٣٥]، بل العكس صحيح تمامًا: عالم اليوم هو ما قبل المسيحية، لا زال ينتظر مجيء المسيح حتّى وإن لم يعلم، وهو بحاجة إلى الله ويبحث عن البشرى السارة، وبحاجة ماسّة أن يقول لنفسه إن الموت هُزِم ولا يجب عليه أن يخاف الموت، لأن الله هزمه نهائيًا بالمسيح... تنتظر كل حقبة تاريخية ذلك الذي جاء ويجيء وسيجيء، لكن إذا كانت الثقافة السائدة اليوم في مجتمع مادي، يسود عليها هاجس الموت واللامعنى، فالإنسان اليوم أكثر من أي وقتٍ مضى يحتاج إلى إعلان القيامة وسماع أن الموت قد هُزِم وأن إله المسيحيين هو إله الحياة والسعادة للأبد. بهذا المعنى يمكننا وعلينا القول إن عالم اليوم **هو ما قبل المسيحية** أكثر من الأزمنة السابقة. ومن الضروري أن نقتنع: في عالم ما بعد المسيحية لن يكون لتنشيط الدعوات من معنى، وفي عالم ما قبل المسيحية له معنى[٣٦]. إذا شعر منشّط الدعوات نفسه تعبيرًا لثقافة ما بعد المسيحية ويعتقد أن الأمور تسير على هذا المنوال، فربما من الأفضل أن يترك التنشيط ويقوم بعملٍ آخر! إذا كان ميتًا في داخله، لن يستطيع أن يعلن جمال حياةٍ مكرّسة بالكامل لإعلان المسيح الذي غلبَ الموت.

---

[35] Cfr. C. Taylor, *L'età secolare*, Feltrnelli, Milano 2009; Id., *La modernità della religione*, Meltemi, Roma 2004.

[٣٦] حول مقطع ما بعد وما قبل المسيحية، انظر كتابي المذكور آنفًا: *Prete e mondo d'oggi. Dal post-cristiano al pre-cristiano, 11-29.*

دفاعٌ "اكليريكي" آخر: قد ننتقد الشباب وهذا الجيل الضائع والبائس غير القادر على القيام باختيارات كبيرة وجريئة، بينما كنّا نحن الكبار في عمرهم على العكس (؟). صحيح أن شباب اليوم يعانون من مشاكل مختلفة (جاءت ممن "ربّاهم" أي من الكبار) ولكن إن كانوا غير قادرين على الاختيار ويخافون أن يختاروا دائمًا، فهذا سبب إضافي لمربّي ذكي ومحبّ لعمله أن يتعلّم قبل كلّ شيء تربية الاختيار الواضح والمنظّم، لكي ينقلها من ثمّ إلى الشاب. هذا مفيد جدًا بدلاً من التذمر وإظهار عدم قدرات المربَّى.

نعرف جميعًا الأماكن العامّة التي ترسم على ظروف الشباب ملامح ازعاج قوية، إلى درجة العدمية المتطرفة[٣٧]، أو "الضيف المقلق" (كما يقول نيتشه)[٣٨]. نعلم ونخاف قليلاً إلا أنّ مسؤوليتنا أقلّ بكثير نتيجة تهربنا في عيش الدعوة.

التهرّب من الدعوة

ربما من غير الملائم استخدام مصطلح التهرّب لوصف هذه الظاهرة التي باتت واضحة: تهرّب مؤسسات تربوية عديدة من واجب تربية الشباب، من الحكومة إلى المدرسة،

---

[٣٧] "إني مريض من لا شيء"، هكذا قال لي مراهق يومًا.

[38] Cfr. U. Galimberti, *L'Ospite inquietante. Il nichilismo e i giovani*, Feltrinelli, Milano 2007.

ومن العائلة إلى المجاميع... سيقول أحدهم إن الكنيسة أيضًا مقصّرة في هذه الرسالة، وبصورة خاصّة نحنُ، **وإذا كان هناك تهرّب من التربية فهناك أيضًا تهرّب من الدعوة**، لأن الدعوة جزءٌ من مسيرة تربوية. إلى درجة أقول فيها إن الأزمة الحقيقية للدعوة اليوم ليست في المدعوين، بل في **الذين يدعون**، اولئك الذين عليهم القيام بمهمة الرسالة ووساطة الدعوة التي تأتي من "الله الأزلي الذي يدعو".

ولكن كم شجاع اليوم يقوم بهذه الرسالة؟ كم مربّي من الأهل إلى الكهنة، من المكرسين والمكرسات إلى العلمانيين الملتزمين (أو المؤمنين بصورة عامة)، فَهِم أنه من المستحيل عيش دعوته دون أن يتعلّم من دعوة غيره؟ أو كم مقتنع أن مَن لا يشعر بالمسؤولية تجاه دعوة الآخرين ولا يفعل شيئًا ليكون إلى جانب أخيه الأصغر، لمساعدته في تمييز صوت من يدعوه وفي قرار الإجابة عليه، هو مدعو وهمي؟ لابدّ من القول، باقتباس قول الإنجيل الشهير، إن **المدعوين كثيرون لكن المختارين قليلون** وإذا كان المختارون قليلين **فالأشخاص الذين يعون دعوتهم أقلّ، والذين يستطيعون الإجابة على الدعوة وتقبّلها هم أقلّ بكثير**. من الضروري أن تنمي الكنيسة حسّ المسؤولية تجاه الدعوة، فيصبح كلّ واحد مسؤولاً عن دعوة الآخرين: هذه هي ثقافة الدعوة الحقيقية.

هناك إذًا تهرّب شخص غائب وغير شجاع، قد يكون طيبًا مثل كثيرين اليوم، والحمد لله، ولكنهم... طيبون لأنفسهم، طيبون صامتون، قليلو الاقتناع بجمال دعوتهم. هناك من يقول إن أغلبية الكهنة والمكرسين والمكرسات (جميعهم طيبون) لم يقوموا بتنشيط الدعوات.

وهناك تهرّب آخر من الدعوة، غير منظور كثيرًا، وهو تهرّب من يقوم برعاية الدعوات لكنه أمام أول رفض للشاب ينسحب مباشرةً بطريقة مؤدبة وخفية ويغلق الحديث عن كل طموح يخصّ التربية والدعوة. أما المربّي المرافق الذكي لا يتعامل بهذه الطريقة: لا يقدّم فقط مقترحات، بل يساعد الشاب في "اكتشاف الحقيقة" داخله، وفي فهم مقاومته وصلابته، مخاوفه وضعفه، أمام نداءات الدعوة المتطلبة. ويرافقه حتّى عندما يُظهر موقفًا مختلفًا عن ذلك الذي اقترحه عليه، ليتبع في النهاية الموقف الذي أراده له الربّ. من يدري كم شاب خسر دعوته بسبب هذا التهرّب. تستخدم وثيقة مؤتمر الدعوات الأوربي مصطلحًا مخيفًا يجعلنا نتأمل بجدّية، فيطلق "إجهاض الدعوات" على اولئك الذين يعانون من هذا الموقف البائس غير التربوي والبعيد عن الدعوة[٣٩].

---

[٣٩] NVNE 35a, p. 89 حيث يتمّ الحديث عن "فراغ تربوي".

الاستعجال في الدعوة

الاستعجال ينتج عن حالة الطوارئ وهي لحظات يشعر فيها المرء أن لا وقت يضيعه في نقاشات وتحليلات، بل لابدّ من التدخّل حالاً. ولكن فلننتبه: "لا يقوم الاستعجال دائمًا بالأمور الصحيحة، ولا يساعد دومًا في البدء من المكان الصحيح. الاستعجال في حالاتٍ كثيرة ليس صديقًا للتأمل والتأني، بل يسدّ فراغات الوقت بدلاً من فتح مسارات تأخذنا إلى المستقبل، ويفضّل إعادة تأهيل الطرق التربوية السابقة القابلة للنقاش"[٤٠].

مثال قد يكون **تجاريًا** لفهم تنشيط الدعوات أو ما نسميه **تأسيس الدعوة**، أي تأسيس جماعات جديدة في أماكن يوجد فيها "سوق دعوات" (مصطلح غريب)، من أجل أن تبقى مؤسستنا حيّة بالدرجة الأولى وليس من أجل إعلان الإنجيل[٤١]. الاستعجال يسّهل لا بل يسخّف الأمور ويقدّم

---

[40] L. Sartorio, *Questione educativa*, p. 33.

[٤١] وجدتُ مصطلح "أساس الدعوة" مكتوبًا في رسالة رئيسة عامة أعلنت في ديرها عن مشروع فتح جماعة رهبانية خارج إيطاليا، في بلد تتوافر فيه الدعوات بين الشباب. ويعلن المشروع عن هدف "إيجاد دعوات لنسند أعمالنا في إيطاليا ونضمن مستقبلاً لرهبانيتنا". ما يثير الاستغراب هو غياب الاحتشام في إعلان المشروع بمصطلحات واضحة جدًا وبدوافع مكشوفة تعاكس فكرة الحياة المكرسة التي تعتمد فقط على اعلان الإنجيل في العالم دون الاهتمام بالذات وبطريقة العيش واعطاء الأهمية للتبشير والخدمة وليس لضمان المستقبل (cfr. A.

نتائج فورية قد تفقد جوهرها، تؤدي إلى زيادة وتراكم قلقٍ لا يتحوّل دائمًا إلى عمل جاد. فهي تخلق في داخلنا محنة الدعوة، ومحنة الدعوة لا تنتج غير المحنة.

تحدي الدعوة

وصلنا الآن إلى نقطة حساسة. فلنترك نهائيًا لعبة إلقاء المسؤوليات على أكتاف الآخرين (إنه ذنب عالم ما بعد الحداثة أو طرقه الخاطئة، أو كسل المربين أو سطحية المتربين، أو هشاشة الشباب وعدم نضوج الكبار، أو شكوك الأسقف أو الرئيس أو عدم توافق الكهنة...) ليقبل كل واحد التحدي النهائي الذي يعيده إلى مسؤوليته الشخصية. أي أن يعود إلى دعوته ويعيشها في الحاضر كمؤمن **يكتشف يوميًا أنه مدعو لدعوة جديدة ولإجابة لا يمكن إلا أن تكون جديدة أيضًا وجذرية وسخية.** وباختصار، التحدي الحقيقي لمنشط الدعوات هي **التنشئة الدائمة.** مَن يأخذ تنشئته الدائمة على محمل الجدّ يستطيع هو فقط أن يكون منشّط دعوات، لأن من يجيب كل يوم على دعوته ويعيشها يمكنه تقديمها كشيء حي وجديد وشبابي وواقعي... والعكس أيضًا صحيح: تنشيط الدعوات يعني أن نجد في هذه المهمّة فرصة دائمة لتنشئة شخصية.

Cencini, *“Guardare al futuro…”. Perché ha ancora senso consacrarsi a Dio*, Paoline, Milano 2010, p. 37).

هذا مهم، لأنه يختلف أن أقوم بتنشيط دعوات (أتكلم بصورة خاصّة عن الكهنة والمكرسين والمكرسات وليس فحسب) لأن هناك حاجة أو لأني قبلت مسؤولية أو لأسباب تبقى خارجية على شخصي، عن أن ألتقي باستمرار الربّ الذي يدعوني وأثبت صحّة رجائي به وأجد أسبابًا جديدة لدعوتي. إذا كانت التنشئة دائمة فالدعوة كذلك أي إنها جديدة كلّ يوم. أن تفهم هذه الحقيقة يعني أن تعيش هاتين الحقيقتين سويةً: تنشيط الدعوة والتنشئة الدائمة. وهما بنتان لاهتمام الكنيسة في هذا الوقت ومرتبطتان بين بعضهما. لذلك العملُ على كليهما اختيارٌ ذكي وفعّال ومفيد وغير مكلف.

أزمة الدعوة

إنه التعبير الأكثر استخدامًا وخاصّةً في بعض الحالات. كيف نفهمه بعيدًا عن الاتهامات والأحكام المسبقة المبنية على الأرقام وعلى بعض الدعوات الخاصّة؟ هناك تعبير للكردينال سكولا• وهو يجيب على سؤال حول التجربة المنتشرة اليوم وهي التخلّي عن الواجب التربوي، فيقول: "تأتي عدم الثقة من معطى وضّحه تأكيد بيكواي•:

• الكردينال أنجلو سكولا (ولد عام ١٩٤١) رئيس أساقفة ميلانو (إيطاليا) وهو فيلسوف ولاهوتي (المترجم).

• شاعر فرنسي مشهور (المترجم).

"إن أزمات التعليم ليست فقط أزمات تعليم، بل تمثّل أزمات حياتية بل أزمات الحياة ذاتها". ويضيف الكردينال: "أعني بالقول إنه لا توجد أبدًا أزمة تربية بل أزمة حياة: فحيث لا توجد حياة مناسبة، لا يمكن أن نعلّم الشباب شيئًا "[٤٢].

ما نقوله عن التعليم والتربية نستطيع ببساطة تطبيقه على تنشيط ورعويات الدعوة. وكأن الكردينال يقول: إن المشكلة الحقيقية في التربية والدعوة تكمن في العلاقات التربوية وأساليب الحياة التي نعيشها بطريقة جذابة في مراحل وجودنا ونقدّمها بشهادتنا وندعو آخرين ونقنعهم لينضمّوا إلينا وإلى معاني الحياة التي يمكن للشاب أن يراها من خلال شهادتنا الشخصية وخاصّة الجماعية. وباختصار إذا كان تحدي الدعوة موجّهًا للفرد ولأمانته تجاه تنشئته الدائمة، فأزمة التربية تتحدى تلك الشهادة التي على الجماعة عيشها بصورةٍ خاصّة. شهادة شخص واحد جيدة وفعّالة، لكن عندما تتوافق مع أشخاص عديدين عن طريق الإخوّة والجماعة تصبح مقنعة وخاصّة للشاب.

فسبب أزمة الدعوة هو تدنّي نوعية الشهادة الكنسية الجماعية، شهادة المؤمنين والأخوّة الكهنوتية والمكرّسة. إنه أمرٌ مقلق، إلاّ أن استيعاب هذا التحدي أو حاجة الشهادة يذكّرنا بأنّ **القداسة الجماعية** هي التي تقنع العالم اليوم

---

[42] Intervista di S. Peraldo al cardinal Scola, apparsa su *Il Biellese*, 16 maggio 2009.

وهو ما يحتاجه العالم والكنيسة. فكّروا كم سيكون غدًا جميلاً خلال السنوات القادمة (٥٠، ٨٠، ١٠٠ سنة؟) في أحدٍ جميل تحت سماء روما، عندما سيعلن بندكتس العشرين ويوحنا بولس الخامس وبولس العاشر، قداسة جماعة من الكهنة والمكرّسين والمكرّسات، وليس قديسين أفراد![٤٣] ستكون شهادة كبيرة وفعّالة جدًا عن الدعوة.

خطر الدعوة

هناك خطر دائم غالبًا ما يُستبعد في تنشيط الدعوات: التورّط في علاقة تربوية، في كشف الذات للآخر والدخول في حياته وعالمه الداخلي (ما عدا إذا كان تنشيطًا بالمعنى التجاري)، فيظهر جمال دعوته وفرحته بها (فجهنم لا تستهوي أحدًا). هناك خطر ألاّ يستقبلنا الشاب أو لا يعطينا جوابًا فنلقى رفضًا، أو خطر حرية تقرر بصورة مختلفة فنعيش خبرة الفشل. يتضمن واجب الدعوة ملامح مأسوية، لأن نتيجته غير واضحة تمامًا، لذلك نتكلم عن "مغامرة الدعوة".

الأمر الأصعب، باعتقادي، هو التوازن بين مربّي الدعوة وبين حرية الآخر، بين احترام حرية الآخر وقوة ما

[43] Cfr. A. Cencini, “... *Come rugiada dell’Ermon...*”. *La vita fraterna, comunione di santi e di peccatori*, Paoline, Milano 1998, specialmente pp. 129-144.

نعرضه عليه. كان هناك، ولا زال إلى اليوم، خلل في هذا الصدد، فنجد مربّيًا مثقفًا جدًا لكنه خائف من اكتشاف دعوات الآخرين، وهناك أيضًا مربّي متطفّل لا يدرك أنه يضغط بإفراط على الآخرين[٤٤].

في هذا الصدد يبدو مفيدًا تذكّر المراحل الثلاثة التي تتكون منها العلاقة في التربية والدعوة، بحسب نوع الدعوة التي يعرضها المربّي أو المنشّط.

أمر

يمثل الأمر المرحلة الأولى التي تؤدي إلى الطاعة. يتضمن الأمر كسر الإرادة، فرضًا، إجبارًا، سيطرة، إنذارًا. وإن كانت درجته مختلفة، فالأمر ضرورة حتمية لا تسمح بالعصيان. فإذا تمّ اختراق الأمر، يأتي العقاب وبالتالي الخوف. مراقبة المدعو لا يعبّر بالضرورة عن حبّ المراقب لأمره. من تربّى بهذه الطريقة سيخلق في داخله ضميرًا **قاسيًا** وشعورًا قويًا بالقانون وضعيفًا بالقناعات الرعوية. المشكلة أن يشعر المرء نفسه مدفوعًا

---

[٤٤] مثل كاهن شاب منشّط رائع للدعوات ومحبّ لعمله، لكنه كان يرغب بشدّة الذهاب في إرسالية، وكان الأسقف قد وعده، بين الجدّية والطرافة، أن يذهب ولكن ليس قبل أن يستقطب عشرة دعوات جديدة للاكليريكية. ربما كان الأسقف يمزح بهذا التحدي، إلا أن الكاهن مارس ضغوطًا على الشباب ليدخل عشرة منهم إلى الاكليريكية!

للقيام بفعلٍ ما فقط عندما يوجد أمرٌ ما (وهذه ليست من صفات الدعوة)، أو يفعل شيئًا لأنّ أحدًا طلب منه ذلك وفرضه عليه. هذه كانت حالة الآباء الروحيين في الماضي، إذ كانوا يشجّعون الاكليريكي غير الواثق من دعوته، فيقولون له: "استمر، أنا أقولُ لك...".

عرض

يعني أن أعرض مقترحًا ممكنًا بين مقترحاتٍ أخرى. وله معنى الإشارة، الدليل، تقديم فرضيات، المواجهة... لكن دون أن نتّخذ موقفًا، فنترك للشخص حرية الاختيار، بل نؤثر فيه ليقوم باختيارٍ ما. وهذا يخلق ازدواجية، فمن جهة يظهر صاحب العرض حبّه لما يعرضه لكن دون أن يعيشه شخصيًا وبعمق. ومن جهةٍ أخرى من يعرض خبرةً ما دون أن يعيشها، قد لا يقول حقيقة ما يعرضه أو يخفي جوانبًا معقدة فيها، تلك التي لم يعرف أن يجد لها حلاً[٤٥].

---

[٤٥] إنه اكتشافٌ مرّ اختبرته قبل سنوات، عندما كنتُ أعدّ لمؤتمر الدعوات الذي يُعقد سنويًا في شهر تشرين الثاني، وكان موضوعه في ذلك العام عن البتولية. كان عليّ أن أقدّم اختيار العزوبة كما تعرضها الخطط الرعوية في الأبرشيات. درستُ العديد منها لأكتشف في النهاية أن جميعها لا تتكلّم عن الموضوع! إذا كانت "قيمة الدعوة" تعني القدرة على جذب الشخص إلى أهداف اختياره، فغياب هذا الموضوع يعني أن العزوبة والبتولية لم تعتبرا ضمن "قيمة الدعوة". فمن الأفضل عدم

قد لا يتقاسم المربّي هذه الخبرة ولا يعيشها ويعرض فرصةً تشبه غيرها، بينما يترك الجواب اختياريًا لحكم المدعو الذي قد يرفض، دون تهديده بعقاب أو بنتائج غامضة لمسيرة حياته.

كلّ ما يقوم به المربّي هنا هو أن يعرض دعوات ولا يذهب أبعد من ذلك، فيحترم جدًا حريّة الشاب (أو ما يعتبره هو كحريّة)، وكأن الشرط الوحيد للخلاص هو الحرية الكاملة في الاختيار[٤٦]. ولكننا قد نجد شابًا يدرك الدعوة بطريقة **مشوشة**، يفتقر إلى نقطة مرجع، ضائع وسط كثرة العروض المتشابهة دون أن يتبنّى واحدةً منها. أقدّم كنموذج مقطعًا من وثيقة مؤتمر الدعوات الأوربي: "عندما لا تعرّف الثقافة (أو أسلوب التربية) المعاني السامية، أو لا تحلل بعض القيم التي تعطي معنىً للحياة، بل تضعها على نفس المستوى، ستسقط عندها كل احتمالية اختيار ويصبح كل شيء لا أباليًا"[٤٧].

ولذلك، علينا أن نقدّم اليوم عروضًا للدعوة دون استفزاز المدعو.

التحدّث عنها في تنشيط الدعوات لأنها قد تحبط. وباختصار، من يقدّم عروضًا فقط، غالبًا ما لا يملك شجاعة الحقيقة.

[٤٦] كما نسمع أحيانًا: "مهما كان اختيارك، المهم أن يكون أختيارك أنت، تتّخذه باستقلالية". ومن المهم أيضًا أن تختار الحقيقة وليس فقط بحرية (حرية تدّعيها أنت أحيانًا)!

[47] NVNE 11a, p. 15.

نداء

النداء دعوةٌ تستفسر الأمور. هنا نخفف الأوامر لتتحوّل إلى نداء ونقوّي العروض لتصبح نداءً. أن نطلق نداءً يعني أن ندعو بالاسم، نجذب انتباه أحدهم وندعوه ليقترب ويقيم علاقة معنا بكلّ عالمه الداخلي. يتضمن النداء تحريضًا لطيفًا يجذب المقابل، لكنه لا يوهم أحدًا بل يعرض الأسباب الدقيقة التي تجعله يرغب في رسالته ويفضّلها على غيرها، على الرغم من متطلباتها الكثيرة. ولكنّ النداء موّجه بكليّته لخير من يتقبله وخير من يقوم به. إنه دعوة مجانية لا تحمل مصلحة، بل تحمل قناعة وطيبة وجمال وحقيقة الرسالة، ويستطيع صاحبها أن ينقلها. إنه يتكلّم من القلب ويأمل أن يصل إلى قلب من يصغي إليه: "محادثة من القلب إلى القلب"، كما يقول الطوباوي نيومان.

من جانب، لا علاقة للنداء بالتملق أو الإغواء، ومن جانب آخر لا علاقة له بالقاعدة المنتشرة اليوم وهي سطحية القيم والاختيارات واعتبارها جميعًا متساوية إلى أن يختار المرء واحدةً منها...

في طريقة النداء يكتشف المؤمن أسلوب الروح القدس الذي يعمل في الحرية وينمّي حريّة المؤمن. "حيث يوجد روح الربّ، توجد الحرية" (٢ كورنثوس ١٧/٣). تلك الحرية الحقيقية التي تؤسس وعيًا ناضجًا عن الدعوة.

هناك من يقول إننا فقدنا اليوم القدرة والشجاعة على إطلاق نداءات ونقوم فقط بعروض، وهذه هي المصيبة!

تحالف تربوي

إنه سرّ نجاح رعوية الدعوات، أن تجد كرامتها ودورها المركزي مع أقسام أخرى من الحياة الرعوية: من الشباب إلى العائلة، من الليترجيا إلى المسنين وحتّى المرضى. فلنأتِ الآن إلى مصطلحات رعوية تعزو دورًا ثانويًا لرعوية الدعوات، وهي الأحدث بين الخدمات الرعوية لكنّها جزءٌ أساسي من الحياة الرعوية، وإن لم يفقه كثيرون لذلك. حتّى إن وثيقة "دعوات جديدة من أجل أوربا جديدة" تقول إن رعوية الدعوات هي **دعوة الحياة الرعوية اليوم**[48].

من الضروري إيجاد الدور المركزي لرعوية الدعوات وتفعيلها بنشاطات رعوية، لأن كل عمل تقوم به الكنيسة، من تعليم مسيحي وخدمة أسرار ومواعظ واحتفالات وليترجيا... إذا لم تحثّ المؤمن على تحمّل مسؤوليته في الكنيسة أو الإجابة على مشروع الله في حياته، فلن يستحق لقب المسيحي. وكلّ من لا يبني دعوة ولا يتساءل عن دعوته ويجيب عنها، فهو ليس مسيحيًا. فالعمل الرعوي يبدأ عندما يتوحّد مع الدعوة، وكما تقول الوثيقة الآنفة

[48] Cfr. NVNE 26a-b.g, pp. 55-56. 61-63.

الذكر، بعبارة موحية: "**الدعوة هي القلب النابض في العمل الرعوي المتّحد بها**"[٤٩].

علينا أن نعمل سويةً على شكل تحالف من أجل الدعوة، وخاصّة في مجال رعوية العائلة والشباب. إنها أقسام في العمل الرعوي محكوم عليها أن تعمل سويةً في توافق كامل.

هذا يتطلب **أن نبدأ عمل الدعوات أولاً مع العائلات**. إذا أردنا دعوات مميزة، علينا العمل مع العائلات أي تنشئة دعوة الزواج وتربية الشباب والمخطوبين ثمّ الأهل ليعطوا معنىً للحياة الإنسانية وينقلوا لأولادهم ما أسميناه أعلاه "منطق الدعوة في الحياة"، ويخلقوا ثقافة الدعوة ليكونوا هم أولاً مثالاً في العطاء والمجانية والانفتاح على الآخرين والمحتاجين بصورة خاصّة، ومثالاً في المسؤولية والتضامن والرصانة والبساطة في الحياة وفي الشجاعة لمواجهة الصعوبات... بعد كل ما قلناه، أيُّ دعوة في أزمة اليوم؟ أليست هي في النهاية أزمة الزواج؟ ففي كنيسة الله، إما ينمو الكلّ سويةً أو لا ينمو أحد، وإما تنمو جميع الدعوات أو تقع جميعها في أزمة.

قلنا سابقًا إن رعوية المرضى ترتبط هي أيضًا بطبيعتها مع رعوية الدعوات، لأن الكاهن يدعو المريض أن يقدم

---

[49] NVNE 26g, p. 63.

مرضه كصلاة من أجل الدعوات الكهنوتية في الأبرشية، ليس فحسب، بل لأن المرض هو بذاته دعوة، وعلينا مساعدة المريض في اكتشاف وعيش مرضه كدعوة من الله في تلك اللحظة من حياته، صحيح أنها دعوة متعبة ولكنها نداء مستمر يأتي من العلى ومن خلاله يتمّ الخلاص.

تربية الدعوة

يتضمن هذا المصطلح، مع آخر سنراه بعده مباشرةً (رعوية الدعوات)، معنى العنصر الثالث المؤسس لثقافة الدعوة. إنه معنى استبقناه من خلال المصطلحات السبعة التي شرحناها. كل ما نستطيع قوله عن هذا الموضوع الغني والمعقد هو الإشارة فقط إلى المبدأ الأساسي في تربية الدعوات ونقطة الانطلاق التي يُدعى المربّي والمنشّئ أن يبني حولها دعوته وعرضه ونداءه. أشرنا إلى هذه النقطة عندما تحدثنا عن حسّ وروحانية الدعوة، وهي: **الحياة نعمة نتقبلها وتميل بطبيعتها أن تصبح نعمةً نهبها.**

إنه مبدأ بسيط جدًا وسهل الفهم (كما يجب أن يكون كل مبدأ تربوي) وصحيح للجميع، وبالتالي يوجّه حديثه عن الدعوة للجميع دون استثناء وليس لجماعةٍ خاصّة. ولكنه يحمل تأثيرًا كبيرًا في نفس الشاب، إذا فُهِم جيدًا، يجعله يعتبر هبة ذاته وطاقاته أمرًا عاديًا ومنطقيًا في التفكير بالمستقبل، لأن الحياة وُهبت لنا ولأنها هبة فهي تتطلب

بالتالي أن نهبها. فلنفكر كم سيغيّر النشاط الرعوي بالعموم ورعوية الدعوات بصورة خاصّة، عندما ننقل حقيقة هذا المبدأ، فنُظهر للعالم أن المسيحية، وخاصّةً يسوع بموته وقيامته، هو التحقيق الكامل لهذا المبدأ.

سيكون بدايةً لما نسميه... **ثورة الدعوة.**

من المهم على الصعيد التربوي أن يعرف منشّط الدعوات تفسير هويته ووظيفته بصورةٍ صحيحة: فهو الزارع، المرافق، المربّي، منشئ الدعوات، مدعو ليميّز الدعوات، دون تجاهل واحدةً من هذه الوظائف أو خلط بعضها ببعض.

حول هذا المبدأ الأساسي وهو المعنى الجوهري للحياة (والموت)، من المهم بناء عرض ونداء الدعوة من خلال الأفعال النموذجية الآتية[٥٠]:

يزرع

إنه الفعل الأول والأساسي في الدعوة، يعبّر عمّا نُدعى لفعله: أن نزرع ثم نزرع ثم نزرع! نزرع بذر الدعوة ولا

[٥٠] هذه الأفعال كلاسيكية وتبني هيكلية للتربية التي تقترحها وثيقة NVNE (وبالتحديد في القسم الرابع الذي يتحدث عن الجانب التربوي، في الأعداد ٣٠-٣٧، ص٧٩-١٠٢). سآخذ الانطلاقة من هذا النص وسأحاول الإشارة إلى جوانب إضافية أخرى.

نتعب من ذلك. لأن اليوم هو زمن الزرع أكثر منه الحصاد، ولأن الزرع هو الوظيفة الأولى لمنشّط الدعوات.

أين؟ في كلّ مكان، بأي طريقة، في كلّ وضع، في كلّ قلب، في كلّ وقت... على مثال الزارع في الإنجيل (راجع متى ١٣)، أي لا يزرع في قلب الصالحين فقط (أو من يسمّون أنفسهم كذلك) أو في مَن يبدون مستعدين للإجابة بالقبول، أو في الأماكن المعتادة بل في كل مكان، حتّى في أماكن جديدة وغير مكتشفة بعدُ حيث لا تبدو عملية الزرع أمرًا منطقيًا ونحذر من القيام بها.

متى؟ دائمًا، في كلّ مراحل الحياة، لأن الله يدعونا دومًا إلى آخر يوم من حياتنا. نزرع وإن كان في يدنا أصغر البذور، وحتّى لو لم يتقبّلها الشاب لأنها مخنوقة بمشاريع أخرى أو لأنه ينظر إليها بنظرة شكّ وخوف. منشّط وزارع الدعوات يزرع دومًا، لأنه يعلّم أنه في تلك اللحظة يضع في قلب الشاب شيئًا سرّيًا يأتي من الله.

ماذا؟ على زارع الدعوات أن يزرع دائمًا ملخّص **الرسالة المسيحية** الذي يتضمّن معنى دعوة الحياة. نحاول أن نشرحه:

- الله يحبّك ولذلك يدعوك.
- في هذه الدعوة تجد حقيقتك وسعادتك.

- تشبه دعوة يسوع الابن الذي أعطى حياته للجميع حبًا بهم.
- خلّصك لأجلك! وهذا يعني أنه جعلك قادرًا وبنفس الحبّ أن تعطي حياتك.
- هذه دعوتك، أنت وحدك تستطيع تحقيقها، مهما كان اختيارك.

يرافق

يرافق منشّط الدعوات ليشير إلى حضور شخصٍ آخر في حياة الشاب، وليس ليجذبه إلى شخصه. يرافقه ليجعله يصغي ويميّز صوت الله الذي يدعوه ويشجعه ليجيب على النداء وفي أي اتجاهٍ يذهب، دون مصلحة شخصية أو عامّة.

إن هذا الوظيفة متواضعة وصافية من جهة، تولد من حرية الروح، ومن جهةٍ أخرى تحترم الله الذي يدعو والإنسان المدعو. ولكن مرافقة الدعوة تعني خاصّةً "العلاقة" الإنسانية، وخاصّة بين الشاب والمنشّط الذي يرافقه، وتدعو ليعيش الشاب علاقة **مع الله** الذي يدعوه. وبقوة هذه العلاقة عاش المنشّط ذاته، ولا زال يعيش، مع الله الذي لا يتوقف عن دعوته.

لا تعني المرافقة انتظار جواب الشاب فقط، أو إجباره والتأثير فيه ليتوافق مع طريقة تفكيرنا، بل تعني الحضور

في حياته وفي كلّ مكان يبحث فيه عن المعنى، حيث يختبر أحيانًا الإحباط أو رفض الحياة. في تلك اللحظات، يصبح حضور أخ كبير ثمينًا جدًا، وقد يشكّل بداية رحلة الدعوة.

على من يرافق ألاّ ينسى أو يتناسى أنّ تنشيط الدعوات يتمّ بفعل **العدوى**، من خلال تعليم مسيحي حكيم ومُعاش عن الدعوة، وثمرة خبرة جديدة وناضجة تعبّر خاصّةً عن رغبة في تقاسم الهبة. ولا ينسى أن هذه الرحلة هي مسيرة آلام يسوع **ودرب صليبه نحو القيامة!** لا توجد رحلة أخرى للدعوة ولا للحياة المسيحية غير هذه.

يربّي

مربّي الدعوات يساعد في استخراج الحقيقة من الأنا كنعمة غير مستحقة ومجانية ولا حدود لها. يساعد المربّي أيضًا في اكتشاف الجانب السلبي من الأنا في الإجابة على الدعوة، أي كل مقاومة وخوف، حوَل أو قُصر نظر يمنعان الشاب من تمييز حقيقته الإيجابية واختبار حبّ الله بملئه. وعكس ذلك، سينغلق الشاب على الأنا ويصبح هو نفسه مركز حياته فيبحث عن علامات وعطف وعن قيمة لذاته.

متى يقوم الشخص بهذا؟ عندما لا يملك حرية مؤثرة، أو حقيقتين أساسيتين في الحياة: أن يكون محبًّا ومحبوبًا. تولد الدعوة هنا، من الناحية النفسية، أي عندما يكتشف

المرء أن أحدًا يحبّه. وإلى أن يكتشف هذا ويصبح حقيقة، لن يجد المرء طريق دعوته. إذًا تستحق هذه المرحلة أن تأخذ وقتًا، ولن يكون مفيدًا تقديم عروض فليس هذا وقتها المناسب.

هناك شاب لا يعيش بسلام مع حياته الماضية، ويفكّر أن الحياة لم تقف إلى جانبه وأنه لم يكن محبوبًا بكفاية، ومع ذلك يفكّر أن يكرّس ذاته للربّ بموقف بطولي... كلا، هذه ليست دعوة حقيقية، **لأنها لم تولد من الامتنان** للحبّ الذي وهبه الله وآخرون كثيرون، كلّ واحد حسب قابلياته ومحدودياته. ولذلك فهي دعوة ضعيفة. فالبطولة لا تدوم عادةً، وبطل اليوم هو ضحية الغد التي ستطالب بحقوقها.

بينما عندما يدرك الشاب الهبة والامتنان، يبدأ منشّط الدعوات بالتنشئة.

ينشّئ

إنها المرحلة التي تلي مباشرةً فعل التربية. على منشّط الدعوات أن يتشجّع ليطلق تدريجيًا نداءً موجّهًا وخاصًّا، بالمعنى الذي قصدناه أعلاه، انطلاقًا من مبدأ الدعوة الأساسي في حياة الإنسان ("الحياة هي هبة نتقبلها وتميل بطبيعتها لأن نهبها")، إنها القاعدة الذهبية لمنشّط الدعوات. بكلماتٍ أخرى، يحثّ الشاب على التلاحم في ذاته، فيعبر

من الامتنان إلى المجانية، من النعمة التي تقبّلها إلى هبة النعمة، من مرحلة المراهقة إلى مرحلة الشباب والنضوج، من السلبية إلى الإيجابية، من كونه ابنًا إلى أب، من شعوره بخلاصه إلى شعوره بمسؤوليته عن خلاص الآخرين مهما كان نوع الدعوة التي يختارها.

إنها "طريقة" يسوع المصلوب الذي يعطي الحياة، ونقطة الوصول لأي رحلة دعوة فيجعلها صحيحة ويعطيها نقطة مرجع. وبصورة أدقّ، إنه يمنح حقيقةً ومنطقًا ومأساةً لحياة الإنسان[٥١].

لكنه يعطي في الوقت ذاته السعادة والسلام للإنسان. لذلك لا يجب على من يقوم بالتنشئة أن يملك شكوكًا أو مخاوف عندما يذكّر بها، فالإنسان يصبح سعيدًا عندما يهب أغلى ما عنده.

يميّز

لا أريد التطرّق إلى موضوع معقدٍ وواسع في هذا الصدد[٥٢]. أريدّ أن اؤكد فقط عنصرًا مهمًا لتمييز الدعوة من بين عناصر كثيرة، بالارتباط مع ما قلناه إلى الآن.

---

[51] Cfr. A. Cencini, *La croce, verità della vita*, Paoline, Milano 2000.

[٥٢] راجع حول هذا الموضوع: NVNE 37, pp. 95-102.

إن الدعوة الحقيقية، بحسب وجهة نظرنا، متواضعة وبسيطة ومجانية وواقعية ومليئة بالثقة، لا تدّعي شيئًا، بعيدة كلّ البعد عن النرجسية الروحية والراحة الشخصية... نموذج لمن يقول: "يا ربّ، أنتَ ملأتَ حياتي بالحبّ، أحببتني كثيرًا ليس فقط في هذه الحياة، بل قبل أن أوجد أيضًا، حتّى أنك فضّلتني على عدم الوجود. إني ابنك المفضّل. كان حبّكَ كبيرًا إلى درجة أنك أحببتني أيضًا من خلال أشخاص محدودين في كل لحظات وظروف الحياة: فحبّك أمين وأكبر من كلّ محدودية. وأنا أمام هذا الحبّ، ليس لي سوى أن أعطيك حياتي ووجودي وقلبي وكلّي. هذا أقلّ ما يمكنني فعله. وأنا واثق أن هبتي تبقى صغيرة أمام هبة حبّك".

لهذا ذكرنا أعلاه: لا يمكن لإنسان أن يتصالح مع ماضيه ومع حياته دون أن يتقبل في الوقت ذاته ملء الحبّ الذي هو الدافع الحقيقي والوحيد لكلّ دعوة وتكريس.

رعوية الدعوة

إن رعوية الدعوات ترجمة لتربيتها وتهدف لتنشيط وقيادة جماعة المؤمنين. يقودنا الحديث هنا أيضًا إلى أبعد، ولذلك سأكتفي بالإشارة إلى المبدأ الملهم لرعوية دعوات ناجحة، وهو: **مسيرة الدعوة التي تولد من البحث الشخصي وتقود إلى القرار الذي يتبعها، تتوافق مع**

مسيرة أو مسيرات الإيمان. بكلماتٍ أخرى، "تملك رعوية الدعوات ذات المراحل الأساسية لمسيرة إيمان"[53]. لأن اختيار الدعوة، كما قلنا سابقًا، هو التعبير الناضج عن الإيمان، ويمثّل تحقيقه الطبيعي والمنطقي ونتيجته الحتمية. لا يوجد إيمان حقيقي ولا نضوج في الإيمان إن لم يلد قرارَ الدعوة ولم ينمو هذا القرار عبر الزمن.

لابدّ من أخذ هذا الموضوع بنظر الاعتبار في طريقة تنظيم العمل الرعوي بالعموم بحيث يتضمن موضوع الدعوة بجميع أشكالها. كما قلنا سابقًا، لابدّ أن يتحوّل أي نشاط رعوي إلى نداء دعوة إذا أردنا أن يتحوّل الانتماء إلى الكنيسة وخبرة العمل فيها مسيرةَ نضوج في الدعوة. وهذا يحدث من خلال سلسلة من وسائط رعوية.

وسيط كنسي

ليس على تنشيط الدعوات أن يُقتطع من العمل الرعوي بل أن يتعلّم العيش في الحياة الرعوية اليومية. وخاصّةً في بعض الأماكن التقليدية المعروضة أمام الجماعة، وفي رحلات لرعوية الدعوة يلتزم فيها كل مؤمن، تتضمن: **الليترجيا** (الصلاة الشخصية والجماعية)، خبرة **كوينونيا** أي التقاسم والإخوّة، خبرة **دياكونيا** أي خدمة المحتاجين،

[53] NVNE 28, p. 70.

و**الشهادة** الشجاعة للإنجيل[54]. على هذه الرحلات الأربع في مسيرة الإيمان أن توضع في إطار الدعوة. وسيكون أول وسيط رعوي في خدمة الدعوة هو الوسيط الكنسي لأنّ كلّ دعوة تولد في الكنيسة.

وسيط تربوي

من هذا الوسيط الأول تولد الوسائط الأخرى بعفوية. إذا كانت هذه الحقائق الأربع حاضرة في جماعة مؤمنة، فستولد رعوية دعوات عامّة للجميع لا بل ستتوضح المسارات الحقيقية التي ستسمح لكلّ واحد باكتشاف طريقه الخاص.

إن الوسيط التربوي رحلة موضوعية أولاً ثمّ ذاتية لأنها تسمح بالاكتشاف التدريجي لدعوة كلّ مؤمن.

ولكن خلف هذا الوسيط هناك آخر يبرره ويكشف عن دوافعه العميقة ويفتحه على أبعادٍ أخرى.

وسيط نفسي

يشير الوسيط النفسي إلى مبدأ مهم جدًا، وإن كان غير واضح اليوم: ما هو موضوعي، أي صالح للجميع (من ناحية أنه مؤسس على طبيعة الإنسان والمؤمن)، يحمي

[54] Cfr. NVNE 27-28, pp. 63-70.

ويضمن الذاتي. بكلماتٍ أخرى، عندما تُحترم القوانين الموضوعية للنمو (قوانين تساوي بين الجميع)، سيجد كلّ واحد طريقته الخاصّة في النمو. إنه الوسيط النفسي. كما تقول وثيقة "دعوات جديدة من أجل أوربا جديدة": "الموضوعية تسبق الذاتية، وعلى الشاب أن يتعلّم أن يعطيها الأسبقية إذا أراد أن يكتشف نفسه ودعوته. أي عليه أولاً أن يحقق المطلوب من الجميع إذا أراد أن يحقق ذاته"[٥٥]، ويحقق أولاً ما يريده الله من الجميع إذا أراد أن يكتشف ما يريده منه.

بهذه الطريقة، أي من خلال هذه الوسائط الرعوية، تصبح الكنيسة أمّ ومهد كلّ دعوة.

ثقافة الدعوة

وصلنا إلى نهاية رحلتنا التي بدأت بفكرة ثقافة الدعوة. أعتقد أننا نحمل عنها الآن فكرةً واضحة بعد أن رأينا العناصر الثلاثة المؤسسة للثقافة بصورة عامة (عقلية، حسّ، ممارسة) وما يوافقها في ثقافة الدعوة (لاهوت، روحانية، تربية).

والآن، نستطيع أن نقيّم إن كان هناك في الكنيسة اليوم ثقافة دعوة. إنه تحليل مهم وضروري. إذا كان هناك ثقافة

---

[55] NVNE 28, p. 70.

دعوة فهذا يعني، قبل وآخر كلّ شيء، أننا نخلق عقلية مبنية على لاهوت الدعوة وطريقة لرؤية المشكلة من طرف الجميع، لأن الله يدعو الجميع والكنيسة أمّ الجميع وأمّ كلّ الدعوات، وللجميع حقّ أن نساعدهم في اكتشاف دعوتهم. فالدعوة لا تعمل في الفرد بل لخلاص العالم، بحيث يتحمّل كلّ واحد مسؤولية خلاص الآخر. وتشمل كلّ الحياة، كلّ لحظة فيها، حتّى الموت. ففي كلّ لحظة هناك دعوة، والمدعو يصبح أمينًا لدعوته عندما يدعو غيره.

علينا أن نتساءل أيضًا إذا كانت العقلية اللاهوتية قد خلقت حسًّا روحيًا للدعوة، سواء من جهة البحث الشخصي عن الدعوة أو من جهة مساعدة الآخر في بحثه. والأهم في هذا الجانب هو الوضوح الذي يجعل المرء يشعر بنداء هبة الذات ويقوم به كأمرٍ طبيعي ومنطقي وإنساني ومسيحي. هل نبني هذا الحسّ في جماعاتنا المؤمنة؟

وأخيرًا، فلنتساءل إذا كنّا نحاول ترجمة هذه العقلية وهذا الحسّ في مسيرات يعيشها الجميع، أي في تربية ورعوية الدعوة. إن لم تكن هناك ممارسة، فكلّ ما حصلنا عليه بالعقل أو أصبح قناعة رعوية، سيكون في خطر الزوال. لابدّ أن نتساءل إذا كان عملنا الرعوي العادي يتضمن دعوة، إذا كانت مواعظنا، احتفالاتنا الليترجية، قداديسنا، أسرارنا، دروسنا في التعليم المسيحي والكتاب المقدس... تخلق في القلب هذا السؤال الذي راود الجموع

التي كانت تسمع بطرس يوم العَنصرة، فقالوا: "ماذا علينا أن نفعل، أيها الإخوة؟" (أعمال الرسل ٣٧/٢)، وكأن كلمات بطرس مسّت قلوبهم.

هذا ما يجعل عملنا الرعوي حقيقيًا: أن تقدح شرارة الدعوة وتساعد كلّ مؤمن فيصغي لصوت الله الذي يدعوه كلّ يوم.

نحو ثورة الدعوة

إنه مصطلح غير ملائم ومستفز، ولكني أعتقد أنه سيخلق شيئًا فشيئًا ثقافة الدعوة التي ستغيّر أشياء كثيرة. سنحرث الأرض لتكون صالحة لاستقبال بذور دعوة كلّ مؤمن. وهذا هو شرط القيام بتنشيط الدعوات اليوم: أن نؤسس ثقافة دعوة وعقلية وحسّ وممارسة رعوية تتوافق معها، ويتقاسمها الجميع بصورة مؤثرة ومقنعة.

ستكون ثورة في الكنيسة: ثورة سلمية وأخويّة وكنسية، ستحمل الجميع وكلّ واحد ليعيش سرّ دعوته مع المسيح في الله، ويعبّر عنها من خلال الكنيسة ويزرعها في الأرض الصالحة التي هي الجماعة المؤمنة، حيث الجميع مدعوون بدون استثناء ويدعون هم بدورهم آخرين، بحسب الدور الذي يشغله كلّ واحد في الجماعة ذاتها.

إذا كانت ثقافة الثورة موجودة، ستتوفر دوافع شجاعة وجذرية تؤدي إلى أعلى مستوى من الحياة المسيحية، وسنكون واثقين من زيادة كمية ونوعية الدعوات القريبة من قلب الجميع، وهذا هو اهتمام الكنيسة اليوم: الدعوات الكهنوتية والمكرّسة من أجل بناء الكنيسة.

مسارات للتأمل وأسئلة

١. لكلّ ثقافة ثلاثة عناصر مؤسسة: عقلية وحسّ وممارسة. ما هو العنصر الأضعف اليوم في رعوية الدعوات؟

٢. إن الرسالة المسيحية تغني منهجية ممارستها. ما هي العناصر التي يتوجب توفرها في هذه الرسالة في هذه الأزمنة المعاصرة؟

٣. ليست رحلة تربية الدعوة سهلة وعفوية، ولا يجب ترك الشاب وحيدًا فيها. ألا يوجد "إهمال في الخدمة" من جهة العاملين في الحقل الرعوي أو منشطي الشبيبة بهذا الخصوص؟ إذا كانت هناك حالة طوارئ تربوية، فهناك حتمًا حالة طوارئ في الدعوة. وهذا الإهمال في الخدمة قد يكون القاسم المشترك بين حالات الطوارئ هذه.

٤. يجب أن أزرع، أرافق، أربي، أنشئ، أميّز...: لا يجب أن يُترك كلّ شيء عفويًا. لكن الواقع هكذا أحيانًا، إذ

تنقص تنشئة منشّئ الدعوات، والنتيجة تؤدي إلى إهمال ملاحظات تربوية مهمة. ما هي المواقف التربوية الأضعف والمهملة أكثر؟

٥. عرض أو نداء الدعوة قد يوضع في بداية مسيرة الإيمان ليدفعها، وليس بالضرورة في ختامها. ألا يمكن أن تخلق هذه الفكرة رابطًا بين رعوية الدعوات ونمو الإيمان، أو بين عرض الدعوة وأول إعلان للإنجيل؟

٦. ثقافة الدعوة، تنشئة من يقومون بتنشئة الدعوات، ثورة الدعوة، تنشئة دائمة وتنشيط دعوات: ما هو أهم عنصر من بين هذه العناصر اليوم؟ كيف يمكن أن نستثمره؟

لا تهمّ كثرة العدد

"يصبح كلّ واحد كبيرًا حسب انتظاراته، فأحدنا يصبح كبيرًا عندما ينتظر الممكن، وآخر عندما ينتظر غير الممكن، ولكن من ينتظر المستحيل يصبح أكبر الجميع"[٥٦].

قد يشعر بالمستحيل مَن يعمل في تنشيط الدعوات اليوم، خاصّةً عندما ينظر إلى النتائج. إذا لم يشعر بذلك فسيقلق آخر لهذا الموضوع. إن بناء ثقافة الدعوة هو الإجابة الأفضل لتأسيس البنية التحتية للدعوة في أيامنا، وهي إجابة

[56] S. Kierkegaard, *Timore e tremore*, Rizzoli 1972.

متواضعة لكنها واقعية، تعمل على مدى بعيد لكنها تصل إلى القلب لأنها إجابة ممكنة بالنسبة للإنسان ومبنية على منطق المستحيل بالنسبة للبشر والممكن بالنسبة لله.

على هذا المستوى لا تهمّ كثرة العدد. ولا زال الزارع حرًّا أن ينثر بذور الدعوة في كلّ مكان. وآنذاك ستصبح البذرةُ الأصغر الثمرةَ الأكبر!

فهرست

مقدمة الترجمة العربية ٣

تقديم ٦

مقدمة ١٢

الثقافة ١٦

الثقافة المسيحية ٢٣

عقلية الدعوة (لاهوت الدعوة) ٣٠

حسّ الدعوة (روحانية الدعوة) ٤٣

الممارسة (تربية الدعوات) ٦٠